

الْحُرِّيَّةُ وَ.. اتِّخَاذُ الْقَرَارِ

(الْحُرِّيَّةُ) ... مَا أَجْمَلَهَا مِنْ كَلِمَةٍ!!!

هَذِهِ الْكَلِمَةُ الْجَمِيلَةُ (الْحُرِّيَّةُ) .. وَالَّتِي هِيَ -عِنْدَ بَعْضِ النَّاسِ- صِنْفُ (الْإِنْسَانِيَّةِ)؛ [وَهِيَ كَذَلِكَ]، وَهِيَ طَرِيقُ الْإِبْدَاعِ .. وَالَّتِي هِيَ مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ الَّتِي انْطَلَقَتْ مِنْ أَجْلِهَا الثَّوَرَاتُ الْمُعَاَصِرَةُ [أَيَّا كَانَتْ أَسْبَابُ أَصْحَابِهَا وَمُبَرِّزَاتِهِمْ، .. عَلَى صَوَابٍ فِي ذَلِكَ أَمْ عَلَى خَطَأٍ] .. تَحْتَاجُ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا إِلَى أَنْ يَقِفَ أَمَامَهَا مُتَمَلِّلاً فِي: مَعْنَاهَا، وَحَقِيقَتِهَا، وَتَطْبِيقَاتِهَا.

فَمِنْذُ الْقِدَمِ؛ وَالْإِنْسَانُ يُحَارِبُ وَيُنَاضِلُ وَيَدْفَعُ الْعَالِي وَالنَّفِيسَ فِي سَبِيلِ حُرِّيَّتِهِ .. بَلْ وَيَدْفَعُ -فِي أَحْيَانٍ كَثِيرَةٍ- حَيَاتَهُ تَمَامًا لَهَا!



فَ(الْحُرِّيَّةُ) تَمْنَحُكَ إِسْنَانِيَّتَكَ، تُشْعِرُكَ بِقِيَمَتِكَ .. وَوُجُودَكَ .. وَأَنَّكَ كَائِنٌ لَكَ مَعْنَى فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ.

(الْحُرِّيَّةُ) .. هِيَ بَدَايَةُ التَّحَضُّرِ وَالتَّقَدُّمِ.

(الْحُرِّيَّةُ) .. كَثْرٌ لَا يُقَدَّرُ بِتَمَنٍّ، وَمَنْ يَفْقِدُهَا يَفْقِدُ جَوْهَرَةَ سَعَادَتِهِ.

وَلَا زَالَتِ (الْحُرِّيَّةُ) هَدَفًا وَسَعْيًا مَنْشُودًا لَدَى كَمِّ هَائِلٍ مِنَ الْبَشَرِ فِي الْعَالَمِ .. وَلَا زَالَتِ (الْحُرِّيَّةُ) أَمْرًا عَظِيمًا لَدَى الَّذِينَ يَفْقَهُونَ مَعَانِيَهَا وَأَبْعَادَهَا.

(الْحُرِّيَّةُ) .. حَقٌّ مِنْ حُقُوقِ الْإِنْسَانِ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَهْتَمَّ بِهَا.

(الْحُرِّيَّةُ) .. شَمْسٌ تُجِبُّ أَنْ تُشْرِقَ فِي كُلِّ نَفْسٍ؛ فَمَنْ عَاشَ مَحْرُومًا مِنْهَا عَاشَ فِي ظِلْمَةٍ حَالِكَةٍ.

(الْحُرِّيَّةُ) .. شَجَرَةٌ يَجِبُ أَنْ لَا تَمُوتَ؛ تُسْقَى مِنْ دِمَائِ الشُّهَدَاءِ ..

وَأَصْبَحَتْ كَلِمَةً (الْحُرِّيَّةُ) تَعْنِي: الْحَيَاةَ، وَالْأَمَلَ، وَالسَّعَادَةَ ...

فَ(الْحُرِّيَّةُ) أَيْضًا إِحْدَى أَهَمِّ قَضَايَا الشُّعُوبِ، وَهِيَ مِنْ أَهَمِّ الْأَوْتَارِ الَّتِي يَعْرِفُ عَلَيْهَا السِّيَاسِيُّونَ؛ فَالْكُلُّ يُطْمَحُ لِاسْتِقْلَالِ بِلَادِهِ، وَأَنْ يَكُونَ شَعْبُهُ حُرًّا فِي اتِّخَاذِ الْقَرَارَاتِ لِمَصْلَحَةِ الشَّعْبِ أَوْ الْجَمَاعَةِ أَوْ الْمُجْتَمَعِ الَّذِي يَنْتَمِي إِلَيْهِ.

فَ(الْحُرِّيَّةُ) هِيَ سَبِيلُ تَحْقِيقِ الْعَدْلِ، وَإِزَالَةِ وَدْفِغِ الظُّلْمِ، وَمُمَارَسَةِ الْحُقُوقِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْمَشْرُوعَةِ، ... فَالْعَدَالَةُ الْحَقَّةُ لَا تَتَحَقَّقُ فِي ظِلِّ الاضْطِهَادِ وَالتَّكْبِيلِ وَحَرْمَانِ الْحُقُوقِ وَمَنْعِ الْمُمَارَسَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ الشَّرْعِيَّةِ، فَ(الْحُرِّيَّةُ) مُقَدِّمَةٌ أَسَاسِيَّةٌ لِدَفْعِ الظُّلْمِ وَإِزَالَتِهِ مِنَ الْمُجْتَمَعِ.



فَهَلْ أَعْمَلْتَ ذَهْنَكَ فِي هَذِهِ الْكَلِمَةِ ... (الْحُرِّيَّةُ)؟ .. وَهَلْ تَعْرِفُ قِيَمَتَهَا؟ .. وَهَلْ أَنْتَ عَلَى اسْتِعْدَادٍ لِحِرَاسَتِهَا مَهْمَا كَلَّفَكَ ذَلِكَ؟ ..

هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَعِيشَ أُسْلُوبَ الْحَيَاةِ الَّذِي حَدَدْتَهُ لِنَفْسِكَ عَنْ قَنَاعَةٍ فِعْلِيَّةٍ؟ وَهَلْ أَنْتَ قَادِرٌ عَلَى تَحْقِيقِ ذَلِكَ فِعْلًا؟ ..

وَهَلْ أَنْتَ عَلَى اسْتِعْدَادٍ لِأَنْ تَتَصَدَّى لِلْمُسْتَعْبِدِ (لِغَيْرِهِ) - السَّالِبِ لِحُرِّيَّةِ غَيْرِهِ - حَيْثُمَا وَجِدَ؟ .. وَمَاذَا لَوْ كَانَ مِنْ أَقْرَبِ النَّاسِ إِلَيْكَ؟ .. فَهَلْ

تَسْمَحُ أَنْ تَسْلُبَ الْقَرَابَةَ وَالْمَوَدَّةَ حُرِّيَّتِكَ أَوْ حُرِّيَّةَ غَيْرِكَ.

هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَبْنِي مَوَاقِفَكَ بِنَاءً عَلَى مَا تُؤْمِنُ أَنْتَ بِهِ؟ ...

هَلْ تَقْبَلُ سَلْبَ (الْحُرِّيَّةِ) مِنْ أَحَدٍ غَيْرِكَ لِعَدَمِ مُشَارَكَتِهِ لَكَ فِي فِكْرِكَ؟

هَلْ تَسْمَحُ بِوُجُودِ مَنْ يُخَالِفُونَكَ الرَّأْيِ؟ ..

وَهَلْ تُؤْمِنُ بِحَقِّهِمْ فِي التَّعْبِيرِ عَنِ آرَائِهِمْ وَحُرِّيَّتِهِمْ فِي ذَلِكَ؟ ...

هَلْ أَنْتَ عَلَى اسْتِعْدَادٍ لِأَنْ تُدَافِعَ عَنِ حُرِّيَّةِ الْآخَرِينَ وَحُقُوقِهِمْ؟ ..

وَهَلْ أَنْتَ عَلَى اسْتِعْدَادٍ لِأَنْ تُسَاهِمَ فِي مَنَحِ (الْحُرِّيَّةِ) لِغَيْرِكَ؟ ...

هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَكُونَ الْمَالِكَ لِلْمُبَادَرَةِ وَصَاحِبَ الْفِعْلِ الْأَوَّلِ فِي

طَلَبِ (الْحُرِّيَّةِ) لَكَ وَالْآخَرِينَ .. أَمْ مُجَرَّدَ (رَدِّ فِعْلٍ) .. أَمْ (سَلْبِيًّا)؟

هَلْ تَمْلِكُ الْقُدْرَةَ عَلَى الْإِخْتِيَارِ وَاتِّخَاذِ الْقَرَارَاتِ؟ ...

وَهَلْ يُؤَثِّرُ فِي قَرَارَاتِكَ: مُجْتَمَعُكَ وَبَيْتُكَ وَمَنْ حَوْلَكَ [أَيًّا كَانُوا]

وَالسُّلْطَةُ وَوَسَائِلُ الْإِعْلَامِ وَ... وَالْأَحْدَاثُ الْخَارِجِيَّةُ الْمُحِيطَةُ بِكَ [دَاخِلِيًّا

وَخَارِجِيًّا]؟

هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُحَدِّدَ الْأَشْيَاءَ (الْمُمْكِنَةَ) وَ(الْإِمْكِنَةَ)؟

هَلْ تَمْلِكُ الْقُدْرَةَ عَلَى التَّمَسُّكِ بِأَحْلَامِكَ وَأَفْكَارِكَ؟ ..

هَلْ .. وَهَلْ .. أَسْئَلَةٌ كَثِيرَةٌ تَحْتَاجُ مِنْكَ (إِجَابَةً) .. صَرِيحَةً .. وَصَادِقَةً!

فَهَلْ تَمْلِكُ (الإِجَابَةَ)؟ ..



وَلتَتَعَرَّفَ فِي الْبِدَايَةِ عَلَى مَعْنَى (الْحُرِّيَّةِ)؛ فَالتَّعْرِيفُ الْعَامُّ لِلْحُرِّيَّةِ؛ هُوَ:

(الْحُرِّيَّةُ) هِيَ "غِيَابُ الْإِكْرَاهِ" ... "الاسْتِقْلَالِيَّةُ مِنَ الْقِيُودِ".

(الْحُرِّيَّةُ) .. هِيَ إِمْكَانِيَّةُ الْفَرْدِ دُونَ أَيِّ جَبْرٍ أَوْ ضَعْفٍ خَارِجِيٍّ عَلَى

اتِّخَاذِ قَرَارٍ أَوْ تَحْدِيدِ (خِيَارٍ) مِنْ عِدَّةِ (إِمْكَانِيَّاتٍ) مَوْجُودَةٍ وَمُتَّاحَةٍ.

(الْحُرِّيَّةُ) .. هِيَ الشُّعُورُ بِالْقُدْرَةِ عَلَى التَّعَامُلِ وَالتَّحَكُّمِ مَعَ (الخِيَارَاتِ)

المُخْتَلِفَةِ الْمُتَّاحَةِ، وَالاخْتِيَارِ الْإِرَادِيِّ الشُّعُورِيِّ الْوَاعِي لِأَحَدِهَا.

فَالِإِنْسَانُ يَشْعُرُ بِأَنَّهُ (حُرٌّ) عِنْدَ مُمَارَسَتِهِ لِإِرَادَتِهِ فِي اخْتِيَارِ أَحَدِ

(الخِيَارَاتِ) مِنْ بَيْنِ (خِيَارَاتٍ) كَثِيرَةٍ مُتَّاحَةٍ لَهُ. [فَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ مُقَيَّدٌ بِهَا هُوَ

(مُتَّاحٌ) وَ(مُمْكِنٌ)]

(الْحُرِّيَّةُ) .. هِيَ التَّحَرُّرُ مِنَ الْقِيُودِ الَّتِي تُكَبِّلُ طَاقَاتِ الْإِنْسَانِ

وَأِنْتَاجِهِ؛ سَوَاءٌ كَانَتْ قِيُودًا مَادِيَّةً أَوْ قِيُودًا مَعْنَوِيَّةً، فَهِيَ تَشْمَلُ التَّخْلُصَ

مِنَ الْعُبُودِيَّةِ لِشَخْصٍ أَوْ جَمَاعَةٍ أَوْ لِلذَّاتِ، ... وَالتَّخْلُصَ مِنَ الضُّعُوطِ

المَفْرُوضَةِ عَلَى شَخْصٍ مَا لِتَنْفِيذِ غَرَضٍ مَا، وَالتَّخْلُصَ مِنَ الْإِجْبَارِ وَالْفَرْضِ.



مَعَ الْعِلْمِ؛ أَنَّ هَذِهِ التَّعَارِيفَ تَلْتَقِي مَعَ تَعْرِيفِ (الذِّكَاةِ):

(الذِّكَاةُ) هُوَ: ائْتِقَاءُ الْبَدِيلِ الْأَمْتَلِ مِنْ ضِمْنِ عِدَّةِ بَدَائِلِ (خِيَارَاتِ)

مُمْكِنَةٍ فِي ضَوْءِ الْغَايَاتِ الْمُحَدَّدَةِ وَالْمَعَايِيرِ الْمَقْرَّرَةِ سَلَفًا.

إِنَّ أَسَاسَ (الدِّكَاءِ) أَوْ (التَّفْكِيرِ) ^(١) [وَالتَّفْكِيرُ هُوَ: التَّعَامُلُ مَعَ الْخِيَارَاتِ وَمُعَالَجَتِهَا - قِيَاسُهَا وَمُقَارَنَتُهَا وَتَقْيِيمُهَا - وَالْحُكْمُ عَلَيْهَا، ثُمَّ الْقِيَامُ بِالْاِخْتِيَارِ بِنَاءٍ عَلَى ذَلِكَ]، وَكَذَلِكَ أَسَاسُ (السِّيَاسَةِ) [وَهِيَ: فَنُّ (الْمُمْكِنِ)؛ وَلَكِنْ لِلسَّيْطَرَةِ] وَأَسَاسُ (الإِدَارَةِ) [وَهِيَ: فَنُّ: قِيَادَةٌ وَتَوْجِيهُ أَنْشِطَةٍ جَمَاعَةٍ مِنَ النَّاسِ نَحْوَ تَحْقِيقِ

(١) (الفِكرُ) وَ(التَّفْكِيرُ) هُوَ: مُجْمَلُ الْأَشْكَالِ وَالْعَمَلِيَّاتِ الذَّهْنِيَّةِ الَّتِي يُؤَدِّيهَا عَقْلُ (ذَهْنُ) الْإِنْسَانِ، وَالَّتِي تُمَكِّنُهُ مِنْ (نَمْدَجَةٍ) [عَمَلٍ نَمُوذَجٍ] الْعَالَمِ الَّذِي يَعِيشُ فِيهِ، وَبِالنَّاتِلِ تُمَكِّنُهُ مِنَ التَّعَامُلِ مَعَهُ بِفَعَالِيَّةٍ أَكْبَرَ لِتَحْقِيقِ أَهْدَافِهِ وَخُطَطِهِ وَرَغَبَاتِهِ وَغَايَاتِهِ. وَعَمَلِيَّةُ (التَّفْكِيرِ) تَتَّصِفُ بِأَيْضًا التَّعَامُلِ مَعَ الْمَعْلُومَاتِ، وَالْإِسْهَامِ فِي عَمَلِيَّةِ حَلِّ الْمَشْكِلاتِ، وَالْاِسْتِنْتِاجِ، وَاتِّخَاذِ الْقَرَارَاتِ. وَلِذَا يُعْتَبَرُ (التَّفْكِيرُ) أَعْلَى (الْوِظَائِفِ الإِدْرَاكِيَّةِ)، وَهُوَ ضَمْنُ إِطَارِ (عِلْمِ النَّفْسِ الإِدْرَاكِيِّ cognitive psychology)

وَ(الفِكرُ) أَيْضًا اتِّجَاهٌ يَرْتَبِطُ بِهِ الْإِنْسَانُ بَعْدَ (تَفْكِيرِ) لَاخْتِيَارٍ (تَوَجُّهِ) يُقِيمُ عَلَى أُسَاسِهِ نَهْجَ حَيَاتِهِ وَالْقِيَمَ الْإِنْسَانِيَّةَ الَّتِي يَسِيرُ عَلَيْهَا.

وَ(الْاِتِّجَاهَاتُ الْفِكْرِيَّةُ) تَتَقاطَعُ فِيهَا بَيْنَهَا بِشَكْلِ كَبِيرٍ، كَمَا أَنَّه يُمَكِّنُ لِأَيِّ إِنْسَانٍ اتِّخَاذَ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْمَبَادِيءِ الَّتِي لَا تَنْتَبِي لِتَوَجُّهِ فِكْرِيٍّ مُعَيَّنٍ، وَاعْتِبَارَهَا تَوَجُّهًُا فِكْرِيًّا خَاصًّا.. وَهُنَاكَ أَتَاطُ وَدَرَجَاتٌ لِلتَّفْكِيرِ؛ أَعْلَاهَا وَأَعْظَمُهَا وَأَرْقَاهَا: (التَّفْكِيرُ الْمُسْتَبِيرُ)؛ وَهُوَ الْفِكرُ الَّذِي يُجَلِّي غَوَامِضَ الْأُمُورِ، وَلَا يَكْتَفِي بِمَعْرِفَةِ أَصُولِ الْأَشْيَاءِ وَفُرُوعِهَا، أَوْ الْوَقَائِعِ وَمُسَبِّبَاتِهَا، أَوْ النَّصُوصِ وَمَعَانِيهَا؛ كَمَا هُوَ الْحَالُ فِي (الفِكرِ الْعَمِيقِ)، إِلَّا أَنَّهُ يَتَعَدَّى ذَلِكَ لِمَعْرِفَةِ مَا يُحِيطُ بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَمَا حَوْلَهَا وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا.

هَدَفٍ مُشْتَرِكٍ] وَ(الْقِيَادَةَ)؛ هُوَ: الْإِرَادَةُ، وَالتَّعَامُلُ مَعَ الْخِيَارَاتِ الْمُتَاحَةِ بِشَكْلِ وَاعٍ [التَّفْكِيرِ الْإِرَادِيِّ الْبَشَرِيِّ الْوَاعِي] [ف(صُنْعُ الْقَرَارِ) اخْتِيَارٌ بَيْنَ الْمُمْكِنَاتِ مِنَ الْخِيَارَاتِ الْمُتَاحَةِ] ^(١)

ف(الْحُرِّيَّةُ) وَمُمَارَسَتُهَا مَرْهُونَةٌ بِمُمَارَسَةِ (الْخِيَارَاتِ الْمُتَاحَةِ)، فَإِذَا لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ خِيَارَاتٌ مُتَاحَةٌ؛ فَلَنْ تَكُونَ هُنَاكَ (حُرِّيَّةً) يُمَكِّنُ مُمَارَسَتَهَا.

وَمَقْدَارُ (الْحُرِّيَّةِ) مُرْتَبِطٌ بِكَمِّيَّةِ (الْخِيَارَاتِ الْمُتَاحَةِ)؛ فَالْمُخَيَّرُ بَيْنَ وَضْعَيْنِ أَوْ حَالَتَيْنِ (حُرٌّ) وَلَكِنَّ الْأَكْثَرَ مِنْهُ حُرِّيَّةٌ: الْمُخَيَّرُ بَيْنَ عَشْرِ حَالَاتٍ، وَالْأَكْثَرَ مِنْهُمَا هُوَ الْمُخَيَّرُ بَيْنَ أَلْفِ اخْتِيَارٍ، وَهَكَذَا، فَكَلَّمَا زِدَادَتِ الْخِيَارَاتُ الْمُتَاحَةُ زِدَادَتِ (الْحُرِّيَّةِ)، وَبِالتَّالِيِ زِدَادَتِ إِمْكَانِيَّةِ أَوْ احْتِمَالِ تَحْقِيقِ الْأَهْدَافِ. يَقُولُ (هَيْدَجَر): "إِنَّ الْإِنْسَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَخْتَارَ، وَمَا الْقُدْرَةُ عَلَى الْاخْتِيَارِ إِلَّا تَعْرِيفٌ لِلْحُرِّيَّةِ".

فَهِيَ عَمَلِيَّةٌ [(الْعَمَلِيَّةُ)]: طَرِيقَةٌ مُحَدَّدَةٌ لِإِنْجَازِ أَعْمَالٍ مُعَيَّنَةٍ؛ تَشْمَلُ عَدَدًا مِنْ

(١) وَكُلُّ هَذَا (فَنٌّ) وَ(عِلْمٌ). وَ(الفنُّ) يُقْصَدُ بِهِ الْمَهَارَةُ فِي آدَاءِ عَمَلٍ مَا، وَهُوَ يَرْتَكِزُ عَلَى

الْمَوَاهِبِ الْفَرْدِيَّةِ لِلْإِنْسَانِ وَاسْتِعْدَادِهِ الْفِطْرِيِّ لِلْإِبْدَاعِ.

أَمَّا (العِلْمُ) فَيَقُومُ عَلَى الْمُلَاحَظَةِ وَالتَّجْرِبَةِ وَاسْتِنْبَاطِ النَّتَائِجِ.

وَ(العِلْمُ) يَتَّصِفُ بِ(المَوْضُوعِيَّةِ)، أَمَّا (الفنُّ) فَيَتَّصِفُ بِ(الدَّائِيَّةِ) وَ(الاعْتِبَارَاتِ

الشَّخْصِيَّةِ).

الْخُطُوبَاتِ أَوْ الْعَمَلِيَّاتِ] إِنْسَانِيَّةٌ مُعَقَّدَةٌ؛ مِنْ الصَّعْبِ التَّبَوُّ بِتَأْيِجِهَا؛ فَالْتَّبِيحَةُ تَكُونُ مُخْتَلِفَةً فِي كُلِّ مَرَّةٍ؛ إِذَا حَدَّثَتْ: آيَةٌ تَعْبُرَاتٍ (لِلْإِنْسَانِ)، أَوْ .. لِتِلْكَ (الْخِيَارَاتِ).



وَفِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ يَأْتِي التَّكْبِيلُ مِنْ (دَاخِلِ الْإِنْسَانِ) نَفْسِهِ!! فَكَثِيرًا مَا يُكَبَّلُ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ وَيَقِيدُهَا وَيُسَلِّسُهَا بِأَوْهَامٍ وَخَيَالَاتٍ لَا وُجُودَ لَهَا .. كَثِيرًا مَا يُعِيشُ نَفْسَهُ فِي وَهْمِ الْخَوْفِ وَالْكَبْتِ؛ فَيَقُومُ بِمَنْعِ نَفْسِهِ وَكَبْتِ وَقَمْعِ أَفْكَارِهِ وَأَرَآئِهِ؛ فَلَا يُعْبِّرُ عَنْ رَأْيِهِ بِتَجَرُّدٍ وَجُرْأَةٍ وَصِرَاحَةٍ .. مِنْ دَاخِلِهِ لِأَنَّ قَبْلَ الْآخِرِينَ.

... الْخَوْفِ - أَيْضًا - مِنْ عَدَمِ التَّوَافُقِ مَعَ الْآخِرِينَ؛ وَيَرْجِعُ ذَلِكَ مِنْ خَوْفِ الْإِنْسَانِ أَنْ يَظْهَرَ أَمَامَ الْآخِرِينَ بِمُظْهَرٍ يَدْعُو لِلسُّخْرِيَّةِ، لِأَنَّهُ أَتَى بِشَيْءٍ لَيْسَ بِالْمَأْلُوفِ بِالنِّسْبَةِ لَهُمْ ..

أَوْ الْخَوْفِ مِنْ إِتْهَامِ الْآخِرِينَ لِأَفْكَارِهِ بِالسَّخَافَةِ ..

وَيَتَمَثَّلُ - أَيْضًا - فِي الْخَوْفِ مِنَ الْفَشْلِ، وَهَذَا رَاجِعٌ إِلَى عَدَمِ ثِقَّةِ الْفَرْدِ بِنَفْسِهِ وَقُدْرَاتِهِ عَلَى ابْتِكَارِ أَفْكَارٍ جَدِيدَةٍ وَإِقْنَاعِ الْآخِرِينَ بِهَا. ... وَلِلتَّغْلِبِ عَلَى هَذَا؛ يَجِبُ أَنْ يُدْعَمَ الْإِنْسَانُ ثِقْتَهُ بِنَفْسِهِ وَقُدْرَاتِهِ وَمَوَاهِبِهِ، وَبِأَنَّهُ لَا يَقِلُّ كَثِيرًا فِي ذَلِكَ عَنِ الْعَدِيدِ مِنَ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ أَبْدَعُوا وَاخْتَرَعُوا وَاكْتَشَفُوا.

وَهُنَاكَ مَعَوِّقَاتٌ إِدْرَاكِيَّةٌ ذَاتِيَّةٌ؛ مِثْلُ: أَنْ يَتَبَنَّى الْإِنْسَانُ طَرِيقَةً وَاحِدَةً

لِلتَّفَكِيرِ وَالنَّظَرِ إِلَى الْأَشْيَاءِ وَالْأُمُورِ؛ فَهُوَ لَا يُدْرِكُ الشَّيْءَ إِلَّا مِنْ خِلَالِ
أَبْعَادٍ تُحَدِّدُهَا النَّظْرَةُ الضَّيِّقَةُ الْمُقَيَّدَةُ [وَأَحْيَانًا: الْأَحَادِيثُ] الَّتِي تُخْفِي
عَنْهُ الْخَصَائِصَ الْأُخْرَى لِهَذَا الشَّيْءِ.

وَبَعْدُ؛ فَلَا تَسْخَرْ مِنْ نَفْسِكَ .. وَلَا تُقَلِّلْ مِنْ عَمَلِكَ .. وَلَا تَحْقُرْ مِنْ شَأْنِ
نَفْسِكَ

فَلِمَ تَسْخَرُ - دَائِمًا - أَنْكَ أَقَلُّ مِنْ غَيْرِكَ!!!



إِنَّ (الْإِنْسَانَ) لَيَطْرَبَ مِنَ الْقَوْلِ بِأَنَّهُ (حُرٌّ) .. يَقُولُ، وَيَفْعَلُ مَا يَشَاءُ!
يَمْلِكُ حُرِّيَّةً أَنْ يَفْعَلَ أَيَّ شَيْءٍ .. وَأَنْ يَقُولَ وَيُبْدِيَ رَأْيَهُ وَوَجْهَةَ
نَظَرِهِ الْخَاصَّةِ .. وَأَنْ يَخْتَارَ الْمَكَانَ الَّذِي يَعِيشُ فِيهِ وَالْعَمَلَ الَّذِي يَعْمَلُهُ
.. وَمَا شَابَهُ.

قَدْ يَتَصَوَّرُ الْإِنْسَانُ أَنَّهُ (حُرٌّ) فِي أَيِّ شَيْءٍ، .. وَلَا يَخْضَعُ لِرِبْقَةٍ وَنِيرِ أَيِّ
شَيْءٍ ...

(حُرٌّ) أَنْ يُحَطِّمَ كُلَّ الْقِيُودِ وَالْأَصْفَادِ وَالْأَغْلَالِ، وَأَنْ يُزِيلَ كُلَّ
الْحَوَاجِزِ وَالْمَوَانِعِ وَالسُّدُودِ ...

(حُرٌّ) أَنْ يَتَوَرَّعَ عَلَى النُّظْمِ وَالْقَوَائِنِ وَالْأَعْرَافِ ...

(حُرٌّ) أَنْ يَقُولَ وَأَنْ يَفْعَلَ مَا يَشَاءُ ...

فَكُلُّ شَيْءٍ .. (مُبَاحٌ)!!!

إِنَّهُ يَمْلِكُ كُلَّ أَنْوَاعِ (الْحُرِّيَّةِ): حُرِّيَّةِ التَّفْكِيرِ .. حُرِّيَّةِ الْإِرَادَةِ .. حُرِّيَّةِ الْعَقِيدَةِ .. حُرِّيَّةِ التَّعْبِيرِ .. حُرِّيَّةِ الْقَوْلِ .. حُرِّيَّةِ الْفِعْلِ ... وَ ... إِطْلَاقِ (الْحُرِّيَّاتِ) وَمَمَارَسَاتِهَا .. بِكَافَّةِ الْأَشْكَالِ وَالصُّوَرِ؛ بِلَا مَسْئُولِيَّةٍ .. وَبِلَا ضَوَائِبٍ .. وَبِلَا حُدُودٍ .. وَبِلَا مَبَادِيٍّ .. وَبِلَا أَخْلَاقٍ .. وَبِلَا خَطِّ أَحْمَرَ!!!



وَالْيَوْمَ؛ وَفِي ظِلِّ وَاقِعِنَا الْمَرِيرِ؛ تَمَّ وَأَدُّ (الْحُرِّيَّةِ) فِي رِمَالِ الْمَلَاهِي وَالْغَرَائِزِ وَالشَّهَوَاتِ!!! وَأَصْبَحَتْ مَعْنَى مُعْطَلًا عَقِيمًا!!!

(حُرِّيَّةِ الْعَقِيدَةِ) بِمَا يَعْنِي: (حُرِّيَّةِ الْكُفْرِ وَالْإِلْحَادِ) وَسَبَّ اللَّهِ جَهْرًا!!!

(حُرِّيَّةِ الْفَنِّ) الْعَفْنِ؛ بِمَا يَعْنِي: (حُرِّيَّةِ الْعُهْرِ وَالْمُجُونِ)!!!

حُرِّيَّةِ التَّعْبِيرِ .. الْقَوْلِ .. الْفِعْلِ ... وَ ...

[أَضَحَتْ هِيَ الْفَسَادُ فِي أَحَطِّ صَوْرِهِ]

فَ(الْحُرِّيَّةِ) الْيَوْمَ ... تَعْنِي: الْإِنْسِلَاحَ مِنَ الْأَخْلَاقِ وَالْقِيَمِ.

(الْحُرِّيَّةِ) الْيَوْمَ .. تَعْنِي: الْإِنْسِلَاحَ مِنَ (الْإِنْسَانِيَّةِ)، وَالْأَرْتَمَاءِ فِي

زَرَائِبِ وَحِظَائِرِ (الْحَيَوَانِيَّةِ).

(الْحُرِّيَّةِ) الْيَوْمَ .. تَعْنِي: التَّفَاهَةَ وَالسَّطْحِيَّةَ.

أَصْبَحَتْ (الْحُرِّيَّةِ) الْيَوْمَ .. تَعْنِي: "انْفِلَاتًا" لَدَى مَنْ لَا يُجِيدُونَ

فَهْمَهَا.



وَفِي (قَامُوسِ عِلْمِ الْاجْتِمَاعِ) لِلدُّكْتُورِ / مُحَمَّدٍ عَاطِفِ غَيْثٍ؛ يَقُولُ فِي

(الحرية): إِنَّ الاسْتِخْدَامَ الْعَامَّ لِهَذَا الْمَصْطَلَحِ يُشِيرُ إِلَى التَّحَرُّرِ مِنَ الْقَيْودِ الَّتِي يَفْرِضُهَا شَخْصٌ مُعَيَّنٌ عَلَى شَخْصٍ آخَرَ.

وَأَنَّ هُنَاكَ تَعْرِيفَاتٍ عِدَّةٌ؛ بَعْضُهَا يُسَايِرُ الْمَعْنَى السَّابِقَ، وَبَعْضُهَا الْآخَرَ يَمِيلُ إِلَى الْقَوْلِ بِأَنَّ (الحرية) فِي الْوَاقِعِ تَتَوَقَّفُ عَلَى: وُجُودِ الظُّرُوفِ أَوْ الْفُرْصِ الصَّرُورِيَّةِ الَّتِي تَسْمَحُ بِتَطَوُّرٍ وَنِمُوٍّ قُدْرَاتِ الْمَرْءِ .. وَلَكِنْ لَا يُمَكِّنُ إِطْلَاقُ (الحرية الفردية) بِلَا قَيْودٍ وَلَا حُدُودٍ حَيْثُ تُدَمَّرُ (حرية المجتمع) .. وَالْوَاقِعُ؛ [كُلُّنَا شُرَكَاءُ فِي (المجتمع)].



فَ(الحرية) عَمَلِيَّةٌ تَبَادُلِيَّةٌ؛ فَكَمَا أَنَّكَ تَسْمَحُ لِ(نَفْسِكَ) أَنْ تُمَارِسَ (الحرية)، فَيَجِبُ أَنْ تَسْمَحَ (لِي) أَنَا - أَيْضًا - بِأَنْ أُمَارِسَ (حريتي).



فَ(الحرية) لَا تَعْنِي -أَبَدًا- التَّعَدِّيُّ عَلَى حُقُوقِ الْآخَرِينَ [بَلْ وَيَجِبُ احْتِرَامُ (خُصُوصِيَّةِ) الْآخَرَ وَاحْتِرَامُ (إِنْسَانِيَّتِهِ) وَ(أَدَمِيَّتِهِ)؛ طَالَمَا لَمْ يُحْطِئْ أَوْ يَتَجَاوَزْ]، وَمُحَاوَلَةُ التَّسَلُّطِ الْقَدِيرِ عَلَيْهِمْ، وَفَرُضِ الرَّأْيِ عَلَيْهِمْ، .. وَالْإِيذَاءَ [الْبَدَنِيِّ وَالْمَعْنَوِيِّ] وَالسَّبَّ وَالْقَذْفَ وَالتَّلْفِظَ بِيَدِيءِ الْقَوْلِ؛ وَالْإِبْدَاعَ فِي أَسْوَأِ أَنْوَاعِ (الدِّيكتاتورية) ...

(الحرية) الاعْتِرَافُ بِ(الآخِرِ)، وَأَنَّهُ مَوْجُودٌ لَهُ قِيَمَتُهُ الْإِنْسَانِيَّةُ .. وَحُقُوقُهُ الْمَدَنِيَّةُ [الَّتِي كَفَّلَهَا لَهُ (خَالِقُهُ) ﷻ فِي (دِينِ اللَّهِ)].



قَدْ يَتَلَدَّدُ بَعْضُ النَّاسِ بِاسْتِعْبَادِ غَيْرِهِمْ؛ كَمَا نَسْتَمْتِعُ - نَحْنُ - بِحَبْسِ
 الْعَصَافِيرِ وَالْبَلَابِلِ فِي أَقْفَاصٍ، وَالنَّظَرِ إِلَيْهَا فِي أَقْفَاصِهَا وَأَغْلَالِهَا!!
 وَلَكِنْ تَنَبَّهُ .. إِنَّا لَا نُطَلِّقُ هَذِهِ (العصافير) مَا لَمْ تُرْعَجْنَا دَوْمًا بِصَوْتِهَا
 وَصَفِيرِهَا وَضَجِيجِهَا. وَلَكِنْ إِنْ سَكَتَتْ وَسَكَتَتْ؛ بَقِينَا نَتَلَدَّدُ بِالنَّظَرِ إِلَيْهَا
 وَهِيَ فِي أَقْفَاصِهَا وَأَغْلَالِهَا وَقِيُودِهَا، وَلَا نَشْعُرُ أَنَّهَا (مَسْجُونَةٌ!!)
 فَ(الْحُرِّيَّةُ) لَا تُسْتَجْدَى ..

[فَمَا نَيْلُ الْمَطَالِبِ بِالتَّمَنِّي وَلَكِنْ تُؤْخَذُ الدُّنْيَا غِلَابًا]

بَلْ رُبَّمَا تَحْتَاجُ (الْحُرِّيَّةَ) أَنْ تُرَوَى بِدَمَاءِ غَالِيَةِ حَرَى وَزَكِيَّةِ، وَأَنْ
 تُشْتَرَى (الْحُرِّيَّةَ) بِكُلِّ مُرْتَخَصٍ وَغَالٍ ..

إِنَّ (الْحُرِّيَّةَ) لَا تُوهَبُ، أَوْ .. تُمْنَحُ، أَوْ .. تُعْطَى، ...

وَإِنَّمَا (الْحُرِّيَّةَ) تُؤْخَذُ، وَرُبَّمَا .. تُنْزَعُ نَرْعَا!



إِنَّ (الثَّوْرَةَ) لَيْسَتْ بِسَبَبِ وَقُوعِ الظُّلْمِ عَلَى الْإِنْسَانِ؛ كَمَا يَتَوَهَّمُ
 الْكَثِيرُونَ!!

[بَلْ يَتَوَرُّ الْإِنْسَانُ لِأَنَّهُ يَشْعُرُ بِالظُّلْمِ؛ حَتَّى وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مَظْلُومًا].

وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَعْيشُونَ فِي ظُلْمٍ وَلَا يَتَوَرُّونَ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَشْعُرُونَ بِهَذَا
 الظُّلْمِ الْوَاقِعِ عَلَيْهِمْ. ... فَمِنْ فُنُونِ آيٍ (دِكْتَاتُورٍ) أَنَّهُ لَا يَشْعُرُكَ أَنَّكَ مُقَيَّدٌ
 مَظْلُومٌ بَلْ يُشْعِرُكَ أَنَّكَ تَعِيشُ حُرًّا طَلِيقًا؛ وَأَنْتَ تَرُسْفُ فِي قِيُودِكَ
 وَأَغْلَالِكَ. فَآيٍ (دِكْتَاتُورٍ) يُتَقِنُ مَهَارَةَ التَّحَكُّمِ فِي عُقُولِ النَّاسِ، وَكَيْفِيَّةَ

تَوْجِيهِهِ أَفْكَارِهِمْ.

أَنْتَ لَنْ تُطَالِبَ بِحُرِّيَّتِكَ مَا لَمْ تَشْعُرْ أَنَّكَ مُقَيَّدٌ مُسْتَعْبَدٌ مَقْهُورٌ، ..
حُرِّيَّتِكَ مَسْلُوبَةٌ مِنْكَ، وَمُتَزَعَةٌ، وَمَعْصُوبَةٌ، .. وَأَنْتَ تَعِيشُ فِي حَالَةٍ كَبَتْ
فِكْرِي، وَقَهَرِ حِسِّي.

وَلَا بُدَّ أَنْ تَعْرِفَ أَنَّ كَسْرَ هَذِهِ الْقِيُودِ لَا يَحْدُثُ إِلَّا بِبَدْلِ التَّضْحِيَّاتِ ..
وَقَدْ تَكُونُ الْقِيُودُ كَثِيرَةً يَصْعَبُ مَعَهَا التَّحَرُّرُ وَالْإِنْفِلَاتُ مِنْهَا مَرَّةً وَاحِدَةً؛
وَهُنَا يَنْبَغِي (التَّدرُّجُ) فِي كَسْرِ الْقِيُودِ، فَيَبْدَأُ الْإِنْسَانُ بِأَيْسَرِهَا وَأَلْيَنِهَا، ثُمَّ
الْأَشَدَّ، فَالْأَشَدَّ.. فَبَعْضُ الشَّيْءِ أَخْفُ مِنْ بَعْضٍ.



إِنَّ إِطْلَاقَ (الْحُرِّيَّةِ الْفَرْدِيَّةِ) يَعْنِي (حُرِّيَّةَ الْفَوْضَى)!!!
وَيُصْبِحُ (الْجَمِيعُ) ضِدَّ (الْجَمِيعِ) ... وَكُلُّ مِنْهُمْ يُصْبِحُ (مَطْرَقَةً)!
وَيُصْبِحُ (الْجَمِيعُ) ذِنَابًا تَعْوِي!!! .. إِنَّهَا .. شَرِيعَةُ الْغَابِ!!!
فَكُلُّ شَيْءٍ .. لَا يُمَكِّنُ - أَبَدًا - أَنْ يَكُونَ مَبَاحًا!!!
وَكُلُّ شَيْءٍ .. لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ حُدُودٌ!



إِنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يُحَافِظَ عَلَى حُرِّيَّاتِ الْآخَرِينَ وَيُدَافِعَ عَنْهَا، كَمَا يُحِبُّ
أَنْ يُحَافِظَ الْآخَرُونَ عَلَى حُرِّيَّتِهِ وَيُدَافِعُوا عَنْهَا ؛ فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ
النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ».

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ أَيضًا: «فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُرْحَزَ عَنِ النَّارِ وَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ؛ فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلِيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ».



يَقُولُ بَعْضُهُمْ: يَجِبُ أَنْ نَتَعَامَلَ مَعَ (الْإِنْسَانِ) عَلَى أَنَّهُ (إِنْسَانٌ)؛ بَعْضُ النَّظَرِ عَنِ هُوِيَّتِهِ وَعَقِيدَتِهِ وَدِينِهِ! وَأَنْ لَا نُفَرِّقَ بَيْنَ الْبَشَرِ فِي أَيِّ مَكَانٍ وَيُرَدِّدُونَ كَثِيرًا لَفْظَ (الْإِنْسَانِ) بِصِيغَةٍ مُطْلَقَةٍ بَدُونِ إِضَافَاتٍ تُقَيِّدُ أَوْ تُخَصِّصُ، وَيَرْفَعُونَ شِعَارَاتٍ؛ مِثْلُ: "الأخوة الإنسانية"، أَوْ .. "الآدمية المشتركة"، أَوْ "المذهب الإنساني"، وَنَحْوَهَا مِنَ اللَّافِتَاتِ الْبَرَّاقَةِ الَّتِي تَدُورُ حَوْلَ هَذَا الْمَعْنَى.. كَمَا يُبَادُونَ بِ(أَنْسَةِ^(١) الْعَلَاقَاتِ) بَيْنَ الْبَشَرِ!

فَهَنَّاكَ مَا يُسَمَّى: بِنَزْعَةِ (إِنْسَانِيَّةِ humanism)، وَهِيَ مَذْهَبٌ فُلْسَفِيٌّ مَادِيٌّ لَا دِينِيٌّ، وَهِيَ مُشْتَقَّةٌ مِنْ كَلِمَةِ (إِنْسَانِ)، وَقَدْ اِكْتَسَبَتْ مِنْ اسْتِعْمَالِهَا مَعَ الْأَيَّامِ مَجْمُوعَةً مِنَ الْمَعَانِي صَارَ بِهَا ذَلِكَ الْإِنْسَانُ (إِنْسَانًا)؛ حَتَّى إِنَّ (الْعَامَّةَ) تَقُولُ: إِنَّ فُلَانًا رَجُلٌ (إِنْسَانٌ)؛ أَيُّ: يَتَّصِفُ بِصِفَاتِ (الْإِنْسَانِ الْحَقِّ)؛ صِفَاتٍ تَجْعَلُهُ أَهْلًا لِحَمَلِ ذَلِكَ الْوَصْفِ.

(١) أَنْسَنَ، يُؤْنِسُنْ، أَنْسَنَةً؛ فَهُوَ: (مُؤْنِسُنٌ)، وَالْمَفْعُولُ: (مُؤْنَسُنٌ).

(أَنْسَنَ الْإِنْسَانَ): ارْتَفَى بِعَقْلِهِ؛ فَهَدَّبَهُ وَتَفَقَّهُ، أَوْ: عَامَلَهُ كإِنْسَانٍ لَهُ عَقْلٌ يَمَيِّزُهُ عَنِ بَقِيَّةِ الْمَخْلُوقَاتِ؛ فَيُقَالُ: "الْأَبَدُ مِنْ تَثْقِيفِ الْمُوَاطِنِ وَأَنْسَتِيهِ لِلرُّفِيِّ بِهَذَا الْمُجْتَمَعِ". (وَأَنْسَنَ الْحَيَوَانَ): شَبَّهَهُ بِالْإِنْسَانِ.

وَهَذِهِ النَّزْعَةُ (الْإِنْسَانِيَّةُ humanism) كَانَتْ تَرْجَمَةٌ لِلإِنْتِفَاصَةِ الَّتِي عَبَّرَتْ عَنْهَا (النَّهْضَةُ الأوروپِيَّةُ) تَعْيِيرًا فِي الْفِكْرِ مِمَّا نَجَمَ عَنْهُ تَعْيِيرٌ فِي جَمِيعِ شُؤُونِ الْحَيَاةِ؛ صِدْقُ فَيُودِ الْكَنِيسَةِ وَالطَّاعَةِ الْعَمِيَاءِ لِرِجَالِ الدِّينِ وَأَنَّ يُسَاقَ كَمَا يُسَاقُ الْقَطِيعُ، وَكُلُّ مَنْ خَرَجَ عَلَى هَذَا كَانَ يُوَاجِهُ الْمَوْتَ حَرْقًا؛ وَذَلِكَ طَوَالَ فِتْرَةِ الإِظْلَامِ الْفِكْرِيِّ الْمُسَمَّاةِ بِ(العُصُورِ الوُسْطَى) وَالَّتِي اسْتَطَالَتْ إِلَى أَكْثَرِ مِنْ عَشْرَةِ قُرُونٍ.

وَهَذِهِ (الْإِنْسَانِيَّةُ) هِيَ اتِّجَاهٌ فِكْرِيٌّ عَامٌّ تَشْتَرِكُ فِيهِ الْعَدِيدُ مِنَ الْمَذَاهِبِ الْفَلْسَفِيَّةِ وَالْأَدَبِيَّةِ وَالْأَخْلَاقِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ، وَقَدْ ظَهَرَتْ فِي (إِيطَالِيَا) فِي بَدَايَةِ عَصْرِ النَّهْضَةِ الأوروپِيَّةِ، وَمِنْهَا انْتَشَرَتْ إِلَى عُمُومِ أوروپَا وَإِلَى الشَّرْقِ وَالْعَرَبِ، وَمُعْظَمُ سَلْبِيَّاتِ الْمَدِينَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْحَاضِرَةِ تُعْتَبَرُ ثَمَرَةً مِنْ ثِمَارِهَا. وَقَدْ ظَهَرَتْ هَذِهِ الْحَرَكَةُ وَانْتَشَرَتْ فِي أَوْسَاطِ الأُدْبَاءِ وَالْفَنَانِينَ وَالْمُتَقَفِينَ عُمُومًا فِي الْقَرْنِ السَّادِسِ عَشَرَ (عَصْرِ النَّهْضَةِ)، وَتَمَيَّزَتْ بِالرُّجُوعِ إِلَى النُّصُوصِ الْكِلَاسِيكِيَّةِ الْقَدِيمَةِ (الإِغْرِيقِيَّةِ وَالرُّومَانِيَّةِ)؛ لِتَسْتَمِدَّ مِنْهَا مَنَاهِجَهَا وَفَلَسَفَتَهَا. [فَالْأَسْبَابُ ذَاتِيَّةٌ لَا مَوْضُوعِيَّةٌ]

وَكَانَتْ تُدَافِعُ عَنْ (حُرِّيَّةِ الْفَرْدِ)، وَتَدْعُو إِلَى إِعَادَةِ الْكِرَامَةِ إِلَى (الْقِيَمَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ)، وَأَنَّ تَنْجِهُ الْعَايَةِ الْبَشَرِيَّةِ وَالْمُجْتَمَعِيَّةِ نَحْوَ (الْحُرِّيَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالْفَرْدِيَّةِ)، وَالثِّقَّةَ بِطَبِيعَةِ الْإِنْسَانِ وَقَابِلِيَّتِهِ لِلْكَمَالِ، وَإِمْكَانِ حُدُوثِ التَّقَدُّمِ الْمُسْتَمِرِّ.

وَكَانَتْ تَدْعُو إِلَى قَصْرِ الْإِهْتِمَامِ الْإِنْسَانِيِّ عَلَى الْمَظَاهِرِ الْمَادِيَّةِ

لِلْإِنْسَانِ فِي الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ، وَتَحْرِيرِهِ مِنْ سُلْطَةِ أَيِّ دِينٍ.

وَكَانَتْ تُرْجِحُ (التَّفْكِيرَ الْعَقْلَانِيَّ)، وَشِدَّةَ الْاعْتِمَادِ عَلَى الْفِعْلِ، وَتَغْلِيْبَ وَجْهَةِ النَّظَرِ الْمَادِيَّةِ، وَأَكَّدَتْ عَلَى تَفُوقِ الْإِنْسَانِ بِذَاتِهِ وَلَيْسَ عَنْ طَرِيقِ الْقُوَى الَّتِي لَا تَخْضَعُ لِتَحْكُمِ الْعَقْلِ [أَي: رَفْضِ الْوَحْيِ وَالنُّصُوصِ الْمُقَدَّسَةِ، لَا رَفْضِ الْإِضَافَاتِ وَالتَّفْسِيرَاتِ الْبَشَرِيَّةِ فَقَطْ]، فَضْلًا عَنِ انْغِمَاسِ الْإِنْسَانِ بِالْمَادَةِ فِي بَدَايَتِهِ، وَحُبِّ اكْتِنَازِ الْمَالِ وَالتَّرَوَاتِ، وَالِاسْتِمْتَاعِ بِالْحَيَاةِ الرَّائِلَةِ [وَيَنْظُرُ أَحَدُنَا إِلَى لَهْثِ هَوْلَاءٍ فِي الْمَلَدَاتِ، لَا يُبَالُونَ وَلَا يَرْفَعُونَ رَأْسًا بِطَيِّبَاتِهَا مِنْ حَبَائِثِهَا، وَلَمْ يَسْتَعِدُّوا لِلِقَاءِ اللَّهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾ (مُحَمَّدٌ/١٢)].

وَالتَّأْكِيدَ عَلَى أَنَّ الشُّرُورَ وَالتَّقَايِصَ الَّتِي اعْتَرَضَتْ الْإِنْسَانَ لَمْ يَكُنْ سَبَبُهَا (الْخَطِيئَةُ الْأُولَى لِأَدَمَ) كَمَا تُفَرِّقُ النَّصْرَانِيَّةُ ذَلِكَ [عَلَى غَيْرِ مَا عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ وَاليَهُودِ]، وَإِنَّمَا كَانَ سَبَبُهَا النِّظَامَ الْاجْتِمَاعِيَّ السَّيِّئَ.

وَتَأْيِيدَ فِكْرَةَ ظُهُورِ الدُّوَلِ الْقَوْمِيَّةِ وَالْوَطَنِيَّةِ وَالْمَحَلِّيَّةِ، وَلَكِنَّهَا تَأْبَى الْعُنْصُرِيَّةَ؛ لِأَنَّهَا امْتَهَانٌ صَارِحٌ لِبَقِيَّةِ الْعَوَامِلِ الْمُشْكَلَةِ لِلنَّسِيجِ الْإِنْسَانِيِّ الشَّامِلِ، وَلِذَلِكَ أَوْحَتْ هَذِهِ الْحَرَكَةُ (الْإِنْسَانِيَّةَ) بِالْأَفْكَارِ التَّحْرِيرِيَّةِ لِقَادَةِ الْفِكْرِ فِي عَصْرِ التَّهْضَةِ الْأُورُوبِيَّةِ وَوَصَلَ إِلَى ذُرْوَتِهِ إِبَانِ الثُّورَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ.

وَتَوْمِينُ هَذِهِ الْحَرَكَةُ بِإِمْكَانِ مَجِيءِ الْعَصْرِ السَّعِيدِ وَالْفِرْدَوْسِ الْأَرْضِيِّ؛ وَيَكُونُ ذَلِكَ بِالرِّخَاءِ الْاِقْتِسَادِيِّ، وَتَحْقِيقِ ذَلِكَ بِتَبَدِيدِ وَتَبَدُّدِ الْخُرَافَاتِ وَالْأَوْهَامِ [يَقْصِدُونَ: نَبْدَ الدِّينِ]، وَنَشْرِ التَّرْبِيَةِ الْعَمَلِيَّةِ [الْمَادِّيَّاتِ].

وَاحْتَوَتْ هَذِهِ الْحَرَكَةُ عَلَى الْفِكْرِ الْيُونَانِيِّ وَاللَّاتِينِيِّ الْوَتْنِيِّ
 الْمَعَارِضِ لِلْفِكْرِ الدِّينِيِّ، وَمِنْ هُنَا كَانَ شِعَارُ (الْإِنْسَانِيَّةِ) كَلِمَةُ الْفِيلَسُوفِ
 الْيُونَانِيِّ الْقَدِيمِ "إِنَّ الْإِنْسَانَ مَقْيَاسٌ لِلْأَشْيَاءِ جَمِيعِهَا".

وَهُوَ مَذْهَبُ (لَا دِينِي) عَلَى الصَّعِيدِ الْعَقْدِيِّ؛ يُوكِّدُ فَرْدِيَّةَ الْإِنْسَانِ
 ضِدَّ الدِّينِ، وَيَعْلَبُ وَجْهَةَ النَّظَرِ الْمَادِيَّةِ الدُّنْيَوِيَّةِ، وَهُوَ مِنْ أُسُسِ فِلْسَفَةِ
 "كُونْت" الْوَضْعِيَّةِ [وَتَقُومُ عَلَى وَصْفِ تَطَوُّرِيٍّ لِلتَّارِيخِ مِنْ ثَلَاثَةِ مَرَاكِلٍ:
 الْلَاهُوتِيَّةِ، الْمِتَافِيزِيْقِيَّةِ، الْوَضْعِيَّةِ أَوْ الْعِلْمِيَّةِ]، وَفِلْسَفَةِ "بِتْنَام" النَّفْعِيَّةِ، وَكِتَابَاتِ
 "بِرْتِرَانْد رَاسِل" الْإِلْحَادِيَّةِ [وَقَدْ أَفْرَطَ فِي هُجُومِهِ عَلَى الدِّينِ، وَأَنَّهُ شَرٌّ].

أَمَّا عَلَى الصَّعِيدِ الْعَمَلِيِّ الْوَاقِعِيِّ الْمُوَثَّرِ بِصُورَةِ مَلْمُوسَةٍ فِي أُسْلُوبِ
 سُلوِكِ الْفَرْدِ؛ فَقَدْ مَنَى الْإِنْسَانُ بِأَمَانٍ كَاذِبَةٍ لَمْ تَتَحَقَّقْ عَلَى الْإِطْلَاقِ،
 وَنَسِيَ أَنَّ طَرِيقَ الْخَلَاصِ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَتِمَّ إِلَّا مِنْ خِلَالِ خَاتِمِ الْأَدْيَانِ
 [الْإِسْلَامِ].

فَالْإِسْلَامُ هُوَ الَّذِي قَدْ كَرَّمَ الْإِنْسَانَ، وَتَعَالَيْمُهُ كُلُّهَا (إِنْسَانِيَّةٌ)؛ قَالَ
 اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾؛ وَلَكِنْ مِنْ اخْتَارَ مِنَ النَّاسِ الْكُفْرَ فَلَا
 يَسْتَحِقُّ هَذَا التَّكْرِيمَ؛ قَالَ تَعَالَى عَنْهُمْ: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الشُّرَّ الْبَرِيَّةِ﴾.

وَقَدْ خَاطَبَ اللَّهُ ﷻ الْإِنْسَانَ مُنَادِيًا أَكْرَمَ مَا فِي كِيَانِهِ وَهُوَ إِنْسَانِيَّتُهُ
 الَّتِي تَمَيَّزَ بِهَا عَنْ سَائِرِ الْأَحْيَاءِ؛ فَهُوَ أَكْرَمُ مَنْ خَلَقَ اللَّهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
 ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ﴾، وَجَعَلَ الْإِنْسَانَ الْقَوِيمَ الصَّالِحَ هُوَ ذَلِكَ الشَّخْصُ الَّذِي

يَتَّسِمُ بِالْعَقْلِ وَالْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ، وَهَذَا كُلُّهُ شَيْءٌ عَظِيمٌ فِي جَوْهَرِهِ
وَفِي أَثَرِهِ، وَلِهَذَا فَهُوَ مَسْئُولٌ مُحَاسَبٌ عَلَى مَا يَفْعَلُ مُجَازَى عَلَى مَا يَفْعَلُ؛
كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾.

وَنَسْتَطِيعُ أَنْ نَضَعَ ذَلِكَ فِي إِطَارٍ صَحِيحٍ إِذَا تَفَهَّمْنَا حَاجَاتِ (الْفَرْدِ)
وَ(الْجَمَاعَةِ)، وَرَكَّزْنَا عَلَى الْعُنْصُرِ الْبَشَرِيِّ أَكْثَرَ مِنَ التَّرْكِيزِ عَلَى الْجَوَانِبِ
الْمَادِّيَّةِ، وَسَعَيْنَا إِلَى إِشْبَاعِ الْحَاجَاتِ الْفَرْدِيَّةِ فِي ضَوْءِ الْمَصَالِحِ الْعَامَّةِ
وَالْأَهْدَافِ وَالْعَايَاتِ الْمَشْرُوعَةِ، وَعَمَلْنَا عَلَى إِثَارَةِ الدَّوَائِعِ الْفَرْدِيَّةِ بِهَدَفِ
الْإِنْتِاجِ وَالتَّنْظِيمِ؛ فِي جَوْ يَسُودُهُ التَّفَاهُْمُ وَالثِّقَةُ الْمُتَبَادَلَةُ، فَرِضَاءُ الْأَفْرَادِ
وَارْتِيَا حُهُمْ فِي أَعْمَالِهِمْ إِمَّا هُوَ نَتِيجَةُ لِلشُّعُورِ بِالتَّقْدِيرِ وَالشُّعُورِ بِالانْتِمَاءِ
وَالْمُشَارَكَةِ. [فَهِيَ فِلْسَفَةٌ دُنْيَوِيَّةٌ يَعْيشُ فِيهَا الْفَرْدُ لِلْحَيَاةِ؛ وَلَا آخِرَةَ]



وَقَدْ جَعَلُوا عِبَارَةَ (اللَّمْسَةُ الْإِنْسَانِيَّةُ) (Human touch) دُسْتُورًا
يَنْطَوِي تَحْتَ كُلِّ حَرْفٍ مِنْ حُرُوفِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ مَعْنَى يُرْشِدُ إِلَى طَرِيقِ
خَاصٍّ فِي مُعَامَلَةِ وَإِشْبَاعِ الْحَاجَاتِ لَدَى الْفَرْدِ؛ كَالتَّالِي:

١. اسْتَمِعْ إِلَيْهِ Hear him

٢. احْتَرِمْ شُعُورَهُ Understand his feeling

٣. حَرِّكْ رَغْبَتَهُ Motivate his desier

٤. قِدِّرْ جُهُودَهُ Appreciate his efforts

٥. مِدَّهُ بِالْأَخْبَارِ New him

٦. دَرَّبَهُ Train him

٧. أَرَشِدُهُ Open his eyes

٨. تَفَهَّمْ تَفَرَّدَهُ Understand his uniqueness

٩. اتَّصِلْ بِهِ Contact him

١٠. كَرَّامَةً Honour him



وَقَدْ وُجِّهَتْ لِهَذِهِ الْحَرَكَةِ الْعَدِيدُ مِنَ الْاِتِّقَادَاتِ؛ مِنْهَا:

- لَا يُوجَدُ أَصْلًا دَوْلَةٌ مِنَ الدُّوَلِ -اليَوْمَ- شَرْفِيَّهَا وَغَرِيْبِيَّهَا تَعْمَلُ
لِلْإِنْسَانِ الْمُطْلَقِ، بَلْ تَجِدُهَا تُمَيِّزُ فِي الْجِنْسِ الْإِنْسَانِيِّ إِمَّا عَلَى أَسَاسِ
وَطْنِيٍّ أَوْ قَوْمِيٍّ أَوْ عِرْقِيٍّ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَقَائِيسِ، فَكَيْفَ نَتَقَبَّلُ تَمْيِيزَ
هَذِهِ الْأُمَمِ بَيْنَ مُوَاطِنِهَا وَغَيْرِ مُوَاطِنِهَا [لَا نَنْسَى كَيْفَ هَاجَ (الليبراليُّونَ)
عِنْدَمَا رَفَعَ مُسْلِمٌ مُضْرِيٌّ فِي مَيْدَانِ (التَّحْرِيرِ) -عَلَى سَبِيلِ الْخَطَأِ وَالْجَهْلِ- عِلْمَ
السُّعُوْدِيَّةِ الْأَخْضَرَ؛ لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ!!!)، وَلَا نَقْبَلُ تَمْيِيزَ اللهُ
بَيْنَ الْمُسْلِمِ وَالْكَافِرِ!]

- الْبَشَرُ -إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ- وَجَّهُوا اِهْتِمَامَاتِهِمْ كُلِّهَا إِلَى الْمَسَائِلِ
الدُّنْيَوِيَّةِ، وَتَرَكَّزَتْ أَطْمَاعُهُمْ فِي الْأَشْيَاءِ الزَّائِلَةِ الَّتِي يَسْرَهَا لَهُمُ الْعِلْمُ،
فَحَدَّثَ تَقَدُّمُ لِلْإِنْسَانِ مِنَ النَّاحِيَةِ الْمَعْرِفِيَّةِ مَعَ تَرَاجُعِ أَخْلَاقِيٍّ.

- الْأُسُسُ الْأَخْلَاقِيَّةُ وَالْآدَابُ لَا تَصْلُحُ أَنْ تَكُونَ قَاصِرَةً عَلَى

الْخُضُوعَ لِلْمُوَاعَمَةِ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَبَيْنَهُ كَلَّمَا تَعَيَّرَتِ الظُّرُوفُ وَتَبَدَّلَتِ
الْأَحْوَالُ؛ فَإِنَّهَا بِذَلِكَ تَفْقَدُ قِيَمَتَهَا الْعَامَّةَ، وَلَكِنْ لِأَبَدٍ أَنْ تَسْتَنْدَ إِلَى
الاعْتِقَادِ بِوُجُودِ نِظَامٍ أَسْمَى مِنَ النِّظَامِ الْمَادِّيِّ الدُّنْيَوِيِّ، وَالْإِيمَانِ
بِالْمَبَادِيِ الْخَالِدَةِ الْمُطْلَقَةِ.

وَلَنْ تَرْتَفِعَ الْأَخْلَاقُ وَتَسْمُوَ إِلَّا مِنْ خِلَالِ (وَحْيِ اللَّهِ) الْحَقِّ، أَمَّا
(الْآدَابُ الْعِلْمَانِيَّةُ) فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ تُبْلَغَ ذَلِكَ!



وَالْوَاقِعُ أَنَّ هَذِهِ (الدَّعْوَةَ) - وَإِنْ كَانَ بَعْضُهُمْ يُرَدِّدُهَا بِحُسْنِ نِيَّةٍ - إِلَّا
أَنَّهَا مُصَادِمَةٌ لِأُصُولِ الْوَحْيِ الْإِلَهِيِّ، وَتَضْمُرُ سَلْخَ الْأَوْصَافِ الْقُرْآنِيَّةِ
الْقَطْعِيَّةِ الَّتِي مَيَّزَ اللَّهُ عَلَى آسَاسِهَا بَيْنَ النَّاسِ وَفَاوَتْ فِي الْعَلَاqَاتِ بَيْنَهُمْ
طَبَقًا لِلتَّفَاوُتِ فِيهَا؛ كَوَصْفِ: (الْمُؤْمِنِ) وَ(الْمُسْلِمِ) وَ(الْفَاسِقِ) وَ(الْكَافِرِ)
وَ(الْمُشْرِكِ) وَ(الْمُنَافِقِ)... وَوَضَعَ هَؤُلَاءِ جَمِيعًا فِي مَرْتَبَةٍ وَاحِدَةٍ بِنَاءً عَلَى
اشْتِرَاكِهِمْ فِي (الْإِنْسَانِيَّةِ) لِيُصْبِحَ (الْمُسْلِمُ) وَ(الْيَهُودِيُّ) وَ(النَّصْرَانِيُّ)
وَ(الْوَتْنِيُّ) وَ(الْمُلْحِدُ) عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ؛ لَا فَرْقَ بَيْنَهُمْ [فَلَا فَرْقَ بَيْنَ (نَحْنُ)
(هُمْ)] طَالَمَا أَنَّهُمْ يَعْمَلُونَ لِسَعَادَةِ (الْإِنْسَانِيَّةِ) وَ(السَّلَامِ) الْبَشَرِيِّ!

فَهَذَا قَوْلٌ بَاطِلٌ يُصَادِمُ الْمِيزَانَ الْإِلَهِيَّ فِي كِتَابِهِ تَعَالَى!!!

فَلَأَبَدًا مِنَ التَّنَبُّهِ إِلَى أَنَّ الشَّرِيعَةَ لَمْ تَأْتِ بِالْمَدْحِ وَالتَّعْظِيمِ الْمُطْلَقِ
لِلْإِنْسَانِ) كَمَا يَتَوَهَّمُ بَعْضُهُمْ؛ بَلْ إِنَّ اللَّهَ بَيْنَ فِي الْقُرْآنِ فِي مَوَاضِعَ
كثيرةٍ ذَمَّ (الْإِنْسَانَ) إِذَا فَقَدَ شَرَفَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ؛ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ﴾ (عيس / ١٧)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَتَاكُمْ مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (إبراهيم / ٣٤)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾ (الحج / ٦٦)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهُ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كُفُورًا﴾ (الإسراء / ٦٧)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾ (الزُّحُرْف / ١٥)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِن أَعْرَضُوا فَأَمَّا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِيبْهُمْ سَيْئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كُفُورٌ﴾ (الشُّورَى / ٤٨)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَلِكِ لَشَهِيدٌ﴾ ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ (الغَادِيَات / ٨)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَنِي﴾، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ (النَّحْل / ٤)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ (يس / ٧٧)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ (الإسراء / ١١)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ (التَّكْوِيْن / ٥٤)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَنِي﴾ ﴿أَنْ رَّاهُ اسْتَغْنَى﴾ ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾ (الْعَلَق / ٦-٨) .



وَمَنْ تَدَبَّرَ الْمَوَاضِعَ الْقُرْآنِيَّةَ الَّتِي وَرَدَ فِيهَا مَفْهُومَ (الْإِنْسَانِ)؛ وَجَدَ أَنَّ
 اللَّهُ ﷻ يَذُمُّ جِنْسَ (الْإِنْسَانِ) بِمَذَامٍ مُتَّوَعَةٍ، ثُمَّ يَسْتَنْبِي مِنْ عُمُومِ هَذَا
 الذَّمِّ أَهْلَ الْإِيمَانِ؛ وَمِنْ ذَلِكَ:

أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَقْسَمَ بِالزَّمَانِ عَلَى أَنَّ (الْإِنْسَانَ) فِي خِسَارَةٍ تَامَةٍ؛ كَمَا
 قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِاسْتِنَاءِ أَهْلِ
 الْإِيمَانِ مِنْ هَذِهِ الْخِسَارَةِ؛ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

وَدَمَّ اللَّهُ جِنْسَ (الْإِنْسَانِ) بِصِفَةِ الْهَلَعِ وَالْجَزَعِ وَالشُّحِّ، ثُمَّ اسْتَنْبَى
 أَهْلَ الْإِيمَانِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ
 جَزُوعًا ﴿٢﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٣﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾﴾ (السَّجَّادُ / ١٩-٢٢).

وَدَمَّ اللَّهُ جِنْسَ (الْإِنْسَانِ) بِصِفَةِ الْقُنُوطِ وَالْجُحُودِ وَالْبَطْرِ، ثُمَّ اسْتَنْبَى
 أَهْلَ الْإِيمَانِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَيْتُنَّ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ
 إِنَّهُ لَكَيْفُوسٌ كَفُورٌ ﴿١﴾ وَلَيْتُنَّ أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضِرَاءٍ مَسَّتَهُ لَيَقُولُنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي
 إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ
 كَبِيرٌ﴾ (هُودُ / ٩-١١).

وَدَمَّ اللَّهُ جِنْسَ (الْإِنْسَانِ) بِصِفَةِ الظُّلْمِ وَالْجَهْلِ، ثُمَّ أَعَقَبَ ذَلِكَ
 بِالْتَّمْيِيزِ التَّفْصِيلِيِّ فِي جِنْسِ هَذَا (الْإِنْسَانِ) الظُّلُومِ الْجَهُولِ عَلَى أَسَاسِ
 الْمَوْقِفِ الدِّيْنِيِّ؛ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا،

لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿الأَحْزَابُ / ٧٢﴾.

وَهَذَا الْمَعْنَى الْمَتَّصِنُ ذَمَّ جِنْسَ (الْإِنْسَانَ) ثُمَّ اسْتِثْنَاءَ أَهْلِ الْإِيمَانِ؛
لَهُ نَظَائِرٌ كَثِيرَةٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ؛ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا
الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿١﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ (التَّيْنُ / ٤-٦)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى
الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا ﴿٤﴾ قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى
شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ﴿٥﴾ (الْإِسْرَاءُ / ٨٣-٨٤)﴾.

بَلْ إِنَّ اللَّهَ هَدَدَ (الْإِنْسَانَ) تَهْدِيدًا مُدَوِّيًّا؛ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا
الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٢﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ
مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٣﴾ (الْأَنْفِطَارُ / ٦-٨)﴾. وَلِذَلِكَ لَمَّا سَمِعَ الْخَلِيفَةُ الرَّاشِدُ عُمَرُ بْنُ
الْخَطَّابِ ﷺ رَجُلًا يَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ؛ قَالَ: (غَرَّهُ - وَاللَّهِ - جَهْلُهُ)، وَالْوَاضِحُ
أَنَّ عُمَرَ ﷺ اسْتَنْبَطَ هَذَا الْمَعْنَى مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي وَصَفَتْ (الْإِنْسَانَ)
بِالْجَهْلِ؛ كَمَا سَبَقَتْ الْإِشَارَةُ لِبَعْضِهَا.

فَكَيْفَ يُقَالُ - بَعْدَ ذَلِكَ - أَنَّ اللَّهَ كَرَّمَ (الْإِنْسَانَ) وَفَضَّلَ (الْإِنْسَانَ)
عَلَى الْإِطْلَاقِ بَعْضُ النَّظَرِ عَنْ هُوِيَّتِهِ الدِّينِيَّةِ؟ وَأَنَّ الْأَدْيَانَ لَا تُؤَثِّرُ فِي
كَرَامَةِ الْإِنْسَانِ إِجَابًا وَلَا سَلْبًا؟ وَأَنَّا يَجِبُ أَنْ نَعْمَلَ لِمَفْهُومِ (الْإِنْسَانِ)
بَعْضُ النَّظَرِ عَنْ دِينِهِ وَعَقِيدَتِهِ؟ أَوْ قَوْلُ بَعْضِهِمْ: لَا تَجْعَلُوا الرَّأْيَ الشَّخْصِيَّ

-وَلَوْ كَانَ كُفْرًا- يُفَرِّقُ بَيْنَ أَبْنَاءِ آدَمَ!!!

أَلَيْسَ فِي ذَلِكَ مَشَاقَّةٌ لِكَلَامِ اللَّهِ ﷻ الصَّرِيحِ؟



قَدْ يَتَصَوَّرُ (الْإِنْسَانُ) أَنَّهُ (حُرٌّ) فِي أَنْ يَتَّخِذَ مَا يَشَاءُ مِنْ قَرَارَاتٍ، حَتَّى
وَلَوْ كَانَ هَذَا (الْقَرَارُ) هُوَ (الْإِنْتِحَارُ) .. أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنْ حَيَاتِهِ؛ لِيَبْرَهِنَ
عَلَى حُرِّيَّتِهِ!!! .. فَإِذَا بِهَا إِرَادَةٌ تَقْضِي عَلَى كُلِّ إِرَادَةٍ لَدَيْهِ، وَحُرِّيَّةٌ فَعَلٍ
تَقْضِي عَلَى كُلِّ قُدْرَةٍ عَلَى الْفِعْلِ، بَلْ .. هُوَ تَنَازُلٌ -مِنْهُ- عَنِ كُلِّ
اخْتِيَارٍ، بَلْ .. يَسْتَحِيلُ -عِنْدَئِذٍ- إِلَى (جَمَادٍ) لَا قُدْرَةَ لَهُ عَلَى (الِاخْتِيَارِ)
بَلْ .. لَا شَيْءَ!

وَفِي أَحْيَانٍ أُخْرَى؛ يَتَعَبَّدُ لِلْأَصْنَامِ [الْمَادِيَّةِ أَوْ الْمَعْنَوِيَّةِ] الَّتِي يَصْنَعُهَا
وَيُضْفِي عَلَيْهَا مِنْ خَيَالِهِ وَأَوْهَامِهِ! .. إِنَّهُ يَتَعَبَّدُ لِهَوَاهُ وَخَيَالِهِ الْمَرِيضِ!!!



إِنَّ التَّفَكِيرَ الطُّفُولِيَّ يَدْفَعُ الْإِنْسَانَ إِلَى أَنْ يَنْشُدَ (الْقُوَّةَ الْمُطْلَقَةَ)
لِيَفْعَلَ مَا يَشَاءُ؛ فَيَسْعَى بِكُلِّ سَبِيلٍ -وَلَوْ فِي خَيَالِهِ- أَنْ يَمْتَلِكَ قُوَّةَ الْجِنِّ
وَالشَّيَاطِينِ وَلَوْ فِي صُورَةِ الْأَبْطَالِ الْخُرَافِيِّينَ .. إِنَّهُ يُحَاوِلُ الْخُرُوجَ مِنْ
بَوْتِقَةِ: أَنَّهُ "إِنْسَانٌ" مَحْدُودِ الْقُوَى وَالْإِرَادَةِ.

إِنَّ (الْإِنْسَانَ) لِأَبَدًا أَنْ يَعْتَرِفَ أَنَّهُ لَا يَمْلِكُ (قُوَى خَارِقَةَ) [إِنَّهُ لَيْسَ
الْإِنْسَانُ الْخَارِقَ (سُوْبَرِ مَانَ)، أَوْ (الْمَحْلُوقَاتِ الْخَارِقَةَ) الْخُرَافِيَّةِ]. [إِنَّكَ لَنْ
تُحْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طَوْلًا] (الإِسْرَاءُ/ ٣٧)

وَلَيْسَتْ لِأَيِّ إِنْسَانٍ (إِرَادَةٌ مُطْلَقَةٌ)...

وَلَا تُوجَدُ (حُرِّيَّةٌ لَا مُتَّنَاهِيَّةٌ)؛ بَلْ مَظَاهِرُ الضَّعْفِ الْبَشَرِيِّ أَوْضَحُ
الْحَقَائِقِ وَأَبْيَنُهَا .. إِنَّهُ مَا خَلَقَ نَفْسَهُ .. وَلَمْ يَخْلُقْ مَا حَوْلَهُ، فَهُوَ لَيْسَ كَمَا
يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ .. وَالْعَالَمُ لَيْسَ فَقَطْ مَا يُرِيدُ!

وَمَظَاهِرُ الضَّعْفِ الْبَشَرِيِّ:

بَعْضُهَا مَصْدَرُهُ الذَّاتُ نَفْسُهَا.

وَبَعْضُهَا مِنْ وُجُودِ الْإِنْسَانِ فِي دَائِرَةٍ مُعَيَّنَةٍ مَحْدُودَةٍ .. ذَاتِ نَشَاطٍ
مَحْدُودٍ.

وَبَعْضُهَا مِنَ الْعَالَمِ الْخَارِجِيِّ الْمُحِيطِ بِهِ الَّذِي يَعِيشُ فِيهِ.

وَبَعْضُهَا مِنَ الْقِيَمِ، وَالْمَبَادِي، وَالصَّرُورَاتِ، وَالْبَوَاعِثِ، ...؛ الَّتِي
تَرَسَّبَتْ بِدَاخِلِهِ.



وُجُودُكَ لَيْسَ وُجُودًا عَامًّا مُطْلَقًا؛ بَلْ هُوَ وُجُودٌ مُرْتَبِطٌ بِزَمَانٍ مُحَدَّدٍ،
وَمَكَانٍ مُحَدَّدٍ .. وُجُودٌ لَهُ ظُرُوفُهُ وَمَوَاقِفُهُ .. لَهُ ارْتِبَاطٌ، وَعَالَاقَاتٌ بِمَا حَوْلَهُ
مِنْ ذَوَاتٍ وَأَشْيَاءٍ.

وَمَعَ أَنَّهُ لَا سَبِيلَ لَدَيْهِ لِمَحْوِ وَإِلْغَاءِ ذَلِكَ؛ إِلَّا أَنْ لَهُ أَنْ يَخْتَارَ مَوْقِفًا
تُجَاهَ ذَلِكَ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَتَحَمَّلَ تَبَعَاتِ هَذَا الْمَوْقِفِ وَمَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ. ...

يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْتَسْلِمَ لِذَلِكَ، [وَرُبَّمَا مَعَ خَجَلِهِ مِنْهُ] ..

وَيَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَقَبَّلَ ذَلِكَ؛ بَلْ .. رَبَّمَا يَفْتَخِرُ بِهِ.

وَيَسْتَطِيعُ أَنْ يَرْفُضَهُ وَبَابَاهُ؛ بَلْ .. يَتَمَرَّدَ عَلَيْهِ.

يَسْتَطِيعُ أَنْ يَكُونَ مُتَشَائِمًا .. وَيَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَفَاعَلَ ...

إِنَّهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُسْقِطَ عَلَى (الْأَشْيَاءِ): (مَعْنَى) وَ(قِيَمَةً)!

إِنَّهُ يُمَكِّنُهُ -مَثَلًا- أَنْ يَفْرَحَ أَنَّهُ (طَوِيلٌ) أَوْ (قَصِيرٌ) .. وَيُمَكِّنُهُ أَنْ

يَحْزَنَ!!! وَهَكَذَا أَيُّ أَمْرٍ هُوَ عَلَيْهِ وَلَا دَخَلَ لَهُ فِيهِ؛ إِنَّهُ (أَبْيَضٌ) أَوْ (أَسْوَدٌ)

.. إِنَّهُ (سَمِينٌ) أَوْ (نَحِيفٌ) ..

إِنَّهُ .. أَنْتَ؛ عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ!

وَلَا بُدَّ مِنَ التَّعَايُشِ مَعَ مَا يُمَكِّنُ أَنْ تَفْعَلَهُ وَمَا لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَفْعَلَهُ وَمَا

لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ!

وَأَنَّ (الْمَاضِي) لَا يُحَدِّدُ -بِالضَّرُورَةِ-: (الْحَاضِرَ)، وَ(الْمُسْتَقْبَلَ) ..

بَلِ (الْمَاضِي) هُوَ الَّذِي يَجِبُ أَنْ تَعْمَلَ عَلَى تَغْيِيرِهِ [إِلَى الْأَفْضَلِ]

حَتَّى تَصِلَ إِلَى (الْغَايَةِ) الَّتِي تَهْدَفُ إِلَيْهَا وَتَقْصِدُهَا؛ أَيُّ: (الْمُسْتَقْبَلَ)

الَّذِي تُرِيدُ أَنْ تَكُونَهُ. ...

إِنَّكَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُحْيِيَ (الْمَاضِي)؛ لِأَنَّ تَصْبِحَ أَسِيرًا لَهُ، وَلَكِنْ لِكَيْ

تَأْخُذَ مِنْهُ الْعِبْرَةَ وَالْعِظَةَ وَتَسْتَفِيدَ مِنْ دُرُوسِهِ، وَأَنْ يَكُونَ دَافِعًا لِمَا تُرِيدُ أَنْ

يَكُونَ عَلَيْهِ (الْمُسْتَقْبَلَ)

وَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَجْعَلَهُ (مِيتًا) (لَا وُجُودَ لَهُ) مُنْفَصِلًا عَنْكَ؛ إِنْ كَانَ يَعْمَلُ
عَلَى إِعَاقَتِكَ، وَانْظُرْ فِي ذَلِكَ قِصَّةَ قَاتِلِ الْمِائَةِ نَفْسٍ؛ وَكَيْفَ سَعَى فِي
تَغْيِيرِ مَاضِيهِ، وَأَصَرَ عَلَى ذَلِكَ، وَتَرَكَ أَرْضَهُ وَوَطَنَهُ الَّذِي تَرَبَّى فِيهِ؛ فِي
سَبِيلِ تَغْيِيرِ هَذَا الْمَاضِي الَّذِي رَأَى أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يُغَيَّرَ!

إِنَّكَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَتَوَرَّعَ عَلَى هَذَا (الْمَاضِي) الَّذِي تَبَعَضُهُ، وَأَنْ تَتَنَكَّرَ لَهُ
وَتَنْقَلِبَ عَلَيْهِ، فَهَنَّاكَ مَنْ يَرَى (الْمَاضِي) عَائِقًا وَعَقَبَةً فِي سَبِيلِ تَقَدُّمِهِ.

وَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَفْتَخِرَ بِهِ، وَتُخْلِصَ لَهُ، وَتَتَّحِدَ مَعَهُ، وَتَنْدِمَ فِيهِ...
وَكَمْ مِنْ إِنْسَانٍ نَشَأَ فِي بَيْتَةٍ وَضِيْعَةٍ [بَلْ رَبَّمَا أَيْضًا: رَقِيْعَةٌ] وَرَفَعَ نَفْسَهُ
إِلَى مَكَانَةٍ رَفِيْعَةٍ [انْظُرْ إِلَى الصَّحَابَةِ - كَمِثَالٍ] .. وَالْعَكْسُ أَيْضًا كَثِيرٌ!!!
نَعَمْ! تَسْتَطِيعُ أَنْ تَشْعُرَ بِحُرِّيَّتِكَ فِي قَبُولِ هَذَا الْمَاضِي .. أَوْ: الْإِنْقِلَابِ
عَلَيْهِ، وَالتَّحَوُّلِ عَنْهُ.



❖ فَا (الْحُرِّيَّةُ): الْقُدْرَةُ عَلَى التَّعْدِيلِ .. وَالتَّحْوِيلِ .. وَالتَّغْيِيرِ.



وَلَا يُوْجَدُ (اِخْتِيَارٌ عَقْلِيٌّ) يَتِمُّ بِدُونِ أَسَاسٍ أَوْ دَعَاةٍ يَسْتَنِدُ عَلَيْهَا، فَلَا
يُوْجَدُ اِخْتِيَارٌ يُمْلِي عَلَى نَفْسِهِ بِوَاعِيَتِهِ.

إِنَّ (الْإِنْسَانَ) هُوَ الَّذِي يَخْلَعُ عَلَى أَسْبَابِهِ وَمُبَرَّرَاتِهِ وَدَوَافِعِهِ وَبَوَاعِيَتِهِ
(قِيَمَةً)، هَذِهِ (الْقِيَمَةُ) قَدْ تَكُونُ حَقِيقِيَّةً إِنْ كَانَتْ مِنْ قِبَلِ (اللَّهِ) .. وَتَكُونُ

غَيْرَ حَقِيقَةٍ إِنْ كَانَتْ مِنْ هَوَى (الْإِنْسَانِ).

إِنَّ الْمَعْيَارَ الْأَوْحَدَ لِلْحَقِيقَةِ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ هُوَ (اللَّهُ)؛ لَا غَيْرَ.

فَ(الْإِنْسَانُ) لَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ مَصْدَرًا لِلْقِيَمِ وَالْمَبَادِي وَالْمَثَلِ وَالْمَعَايِيرِ ... لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ مَعْيَارًا لِلْحَقِّ وَالْخَيْرِ وَالْجَمَالِ؛ كَمَا يَقُولُ (الليبراليون) [وَكَذَا يَتَّفِقُ مَعَهُمُ (العلمانيون) (الدنيويون)] [حَيْثُ تُخْتَلَفُ هَذِهِ الْقِيَمُ مِنْ شَخْصٍ لآخَرَ، وَمِنْ زَمَانٍ لِمَازَانٍ، وَمِنْ مَكَانٍ لِمَكَانٍ] بِذَلِكَ [ب- (أَنْمُودَجِ الْفَرْدِ الْمُسْتَقِلِّ بِذَاتِهِ)]: فَ(الْإِنْسَانُ) -عِنْدَهُمْ- (ذَاتِيُّ الْإِسْتِقْلَالِيَّةِ)، فَالْحُكْمُ وَالْإِخْتِيَارُ فَرْدِيٌّ، فَالشَّخْصُ هُوَ الَّذِي يَحْكُمُ وَيَخْتَارُ؛ مِمَّا يَسْتَوْجِبُ الْمُسَاوَاةَ الْأَخْلَاقِيَّةَ بَيْنَ جَمِيعِ الْأَشْخَاصِ، مِنْ حَيْثُ كَوْنُ كُلِّ مِنْهُمْ كَائِنًا مُسْتَقِلًّا بِذَاتِهِ؛ لَهُ الْحُرِّيَّةُ الْكَامِلَةُ فِي أَنْ يَخْتَارَ قِيَمَهُ، وَلَا يَجُوزُ لِلدَّوْلَةِ -فِي هَذِهِ الْحَالَةِ- أَنْ تَخْضَعَ لِنُفُوزِ أَيِّ عَقِيدَةٍ مَهْمَا كَانَتْ، وَلَا يَجُوزُ لِفَرْدٍ أَنْ يُخْضَعَ غَيْرَهُ مِنَ الْأَفْرَادِ لِمَا يَعْتَقِدُ!

وَهَذَا الْكَلَامُ لَا يَصْلُحُ؛ لَا .. لِأَنَّهُ يَتَّصَادَمُ مَعَ دِينِنَا فَقَطْ، بَلْ .. لَا يَصْلُحُ لِأَنَّهُ لَا يَصِحُّ أَنْ يَجْعَلَ كُلُّ إِنْسَانٍ لِنَفْسِهِ الْقِيَمَ وَالْمَعَايِيرَ؛ وَإِلَّا لَكَانَ (الْإِنْسَانُ) هُوَ السَّيِّدُ الْمُطَاعُ .. وَلَتَتَّصَادَمَتْ تِلْكَ الْقِيَمُ وَالْمَثَلُ مَعَ تَصَادُمِ الْأَسْيَادِ [بِعَدَدِ الْبَشَرِ].

وَكَذَا (الْبَرَجْمَاتِيَّةُ pragmatism): الذَّرَائِعِيَّةُ النَّفْعِيَّةُ، تَجْعَلُ مِنَ (الْمَنْفَعَةِ) مَعْيَارًا لِلْحَقِّ وَالْخَيْرِ وَالْجَمَالِ، فَالْفِكْرَةُ لَيْسَتْ صَحِيحَةً أَوْ بَاطِلَةً فِي ذَاتِهَا؛ وَلَكِنْ بِحَسَبِ مَا يُمَكِّنُ أَنْ تُحَقِّقَهُ لِلْإِنْسَانِ مِنْ نَفْعٍ فِي حَيَاتِهِ

العملية.

وَهَذَا كُلُّهُ غَيْرُ مَقْبُولٍ عِنْدَ الْعُقَلَاءِ!



بَعْضُ الْمَدَارِسِ الْفَلْسَفِيَّةِ وَبَعْضُ التَّوَجُّهَاتِ الْفِكْرِيَّةِ وَالِدَيْنِيَّةِ تُنْكِرُ
وُجُودَ (إِرَادَةِ حُرَّةٍ) عِنْدَ الْإِنْسَانِ، وَتَعْتَبِرُهُ خَاضِعًا شَاءَ أَمَّ أَبِي لِسُلْطَانِ
قُوَى طَبِيعِيَّةٍ أَوْ غَيْبِيَّةٍ، وَتَعْتَبِرُ الْإِنْسَانَ جُزْءًا غَيْرَ مُنْفَصِلٍ وَلَا مُفَارِقٍ عَنِ
الطَّبِيعَةِ، وَبِالتَّالِي؛ فَالْإِنْسَانُ يَخْضَعُ لِجَمِيعِ الْقَوَائِنِ الطَّبِيعِيَّةِ الَّتِي تَصِفُهَا
بِ(الْحَتْمِيَّةِ)، وَهَذِهِ الْمَدْرَسَةُ تُعْرَفُ بِ(الْحَتْمِيَّةِ) Determinism. وَعَلَى
رَأْسِهَا: (دِيْفِيد هِيُوم)، وَ(تُومَاس هُوْبز)، وَ(إِيْمَانُويل كَانْت)، وَ(بُول هِيرِي
ثِيرِي)، وَ(بَارُون دِي هُولْبَاخ)، وَ(جُون سِيرل).



وَ(الْحَتْمِيَّةِ) فَرَضِيَّةٌ فَلْسَفِيَّةٌ تَقُولُ بِأَنَّ كُلَّ حَدَثٍ فِي الْكَوْنِ -بِمَا فِي
ذَلِكَ إِدْرَاكُ الْإِنْسَانِ وَتَصَرُّفَاتُهُ- خَاضِعَةٌ لِتَسْلُسُلٍ مَنطِقِيٍّ سَبَبِيٍّ مُحَدَّدٍ
سَلَفًا ضَمَّنَ سِلْسِلَةً غَيْرَ مُنْقَطِعَةٍ مِنَ الْحَوَادِثِ الَّتِي يُؤَدِّي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ
وَفَقَّ قَوَائِنٍ مُحَدَّدَةٍ. فَيُؤْمِنُ بَعْضُهُمْ بِأَنَّهَا قَوَائِنُ الطَّبِيعَةِ، فِي حِينٍ يُؤْمِنُ
آخَرُونَ بِأَنَّهَا قَضَاءُ اللَّهِ وَقَدْرُهُ الَّذِي رَسَمَهُ لِلْكَوْنِ بِمَا فِيهِ مِنْ مَخْلُوقَاتٍ.

وَإِذَا دَرَسْنَا غَالِبِيَّةَ خَصَائِصِ إِنْسَانٍ مَا؛ الْفِسْيُولُوجِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ وَالْفِكْرِيَّةِ
.. وَدَوَائِفِهِ وَرَغَبَاتِهِ وَ....، وَدَرَسْنَا الْعِنَاصِرَ وَالْأَوْضَاعَ وَالظُّرُوفَ الْمَادِيَّةَ
وَالاجْتِمَاعِيَّةَ وَالثَّقَافِيَّةَ وَ.... الْمَوْجُودَةَ فِيهِ وَيَعِيشُ فِيهَا؛ فَعَلَى الْأَغْلَبِ

نَسْتَطِيعُ أَنْ نَتَّبَعَ بِعَالِيَةِ اسْتِجَابَاتِهِ وَتَصَرُّفَاتِهِ، وَسَجْدُهَا نَاتِجَةٌ عَنِ الْعَنَاصِرِ وَالظُّرُوفِ الْمَوْجُودَةِ.

وَهَذَا يَعْنِي أَنَّا إِذَا وَسَعْنَا دَائِرَةَ (الْعَنَاصِرِ) وَ(النَّفَاعَلَاتِ)؛ فَإِنَّا نَجِدُ أَنَّ تَعَامُلَ هَذَا الْإِنْسَانَ مَعَ (الْخِيَارَاتِ) مَحْكُومٌ بِالْعَنَاصِرِ وَالظُّرُوفِ الْمَوْجُودَةِ.

وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ (إِرَادَتَهُ) مُوجَّهَةٌ وَتَابِعَةٌ لِمُحَصَّلَةِ تِلْكَ الْعَنَاصِرِ وَالظُّرُوفِ الدَّاخِلِيَّةِ وَالْخَارِجِيَّةِ الْمَوْجُودَةِ.



وَ(الْحَتْمِيَّةِ) تَرْتَبُطُ أَسَاسًا وَتَعْتَمِدُ عَلَى أَمْرَيْنِ: (الْمَادِيَّةِ) وَ(السَّبَبِيَّةِ).

فَفِي (الْحَتْمِيَّةِ)؛ لَا يُمَكِّنُ حَدُوثُ أَيِّ شَيْءٍ خَارِجَ مَنْطِقِ قَوَائِنِ الطَّبِيعَةِ [وَفِي التَّفْسِيرِ الدِّينِيِّ لِلْحَتْمِيَّةِ: وَضَعَ اللَّهُ الْقَوَائِنَ فِي الطَّبِيعَةِ لِيَسِيرَ كُلُّ شَيْءٍ وَفَقَهَا]، وَبِالتَّالِيِ؛ لَا مَجَالَ لِحَوَادِثِ عَشْوَائِيَّةٍ غَيْرِ مُحَدَّدَةٍ سَلَفًا.

وَيَعْتَرِفُ (الْحَتْمِيُّونَ) بِأَنَّهُ رُبَّمَا يَصْعُبُ عَلَى الْإِنْسَانِ أَحْيَانًا مَعْرِفَةَ النَّتِيجَةِ مُسَبِّقًا نَتِيجَةَ عَدَمِ قُدْرَتِهِ تَحْدِيدِ الشُّرُوطِ الْبَدِئِيَّةِ لِلتَّجْرِبَةِ، أَوْ عَدَمِ امْتِلَاكِهِ لِلصِّيَاغَةِ الدَّقِيقَةِ لِلقَانُونِ الطَّبِيعِيِّ، لَكِنَّ هَذَا الْقَانُونَ مَوْجُودٌ وَالنَّتِيجَةُ مُحَدَّدَةٌ سَلَفًا.

فَهَنَّاكَ مَنْ يَعْتَبِرُ (الْإِنْسَانَ) مُجَرَّدَ (رِبْشَةٍ فِي مَهَبِّ الرِّيحِ)، لَا يَمْلِكُ فِي تَقْدِيرِ أَمْرِ مَصِيرِهِ شَيْئًا. وَهَذَا الْمَذْهَبُ يَظْهَرُ عِنْدَ بَعْضِ (الطَّرِيقِ الصُّوفِيَّةِ)،

وَعِنْدَ فِرْقَةِ (الْجَبْرِيَّةِ).



وَالْجَبْرِيَّةُ هِيَ إِحْدَى الْفِرَقِ الْكَلَامِيَّةِ الْمُنْحَرِفَةِ الَّتِي تَقُولُ
بِ(الْجَبْرِ)، وَ(الْجَبْرُ) هُوَ نَفْيُ الْفِعْلِ حَقِيقَةً عَنِ الْعَبْدِ وَإِصَافَتُهُ إِلَى الرَّبِّ؛
بِمَعْنَى أَنَّ الْعِبَادَ مَجْبُورُونَ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَأَوَّلُ مَنْ قَالَ بِهَذِهِ الْمَقَالَةِ هُوَ
(الْجَعْدُ بْنُ دَرْهَمٍ)، وَأَخَذَهَا عَنْهُ (الْجَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ)، فَ(الْجَهْمِيَّةُ) هُمْ
أَوَّلُ مَنْ حَمَلَ لِيَوَاءِ هَذِهِ الدَّعْوَةِ، وَقَدْ كَانَتْ بَدَعَتْهُمْ هَذِهِ رِدَّةَ فِعْلِ
لِبَدْعَةِ الْقَدَرِيَّةِ (Fatalism) الَّذِينَ غَلَوْا فِي نَفْيِ (الْقَدْرِ).



وَالْجَبْرِيَّةُ أَصْنَافٌ:

فَالْجَبْرِيَّةُ الْخَالِصَةُ لَا تُنْبِتُ لِلْعَبْدِ فِعْلاً وَلَا قُدْرَةً عَلَى الْفِعْلِ بِالْأَصْلِ.
وَأَمَّا (الْجَبْرِيَّةُ الْمُتَوَسِّطَةُ) فَتُنْبِتُ لِلْعَبْدِ قُدْرَةً غَيْرَ مُؤَثَّرَةٍ؛ فَمَا مِنْ أَنْبَتٍ
لِلْقُدْرَةِ الْحَادِثَةِ أَثَرًا مَا فِي الْعَقْلِ - وَسَمِيَ ذَلِكَ (كَسْبًا) - فَلَيْسَ بِجَبْرِيٍّ،
وَ(الْمُعْتَزَلَةُ) يُسَمُّونَ مَنْ لَمْ يُنْبِتْ لِلْقُدْرَةِ الْحَادِثَةِ فِي الْإِبْدَاعِ وَالْأَحْدَاثِ
اسْتِقْلَالًا جَبْرِيًّا، وَقَدْ عَدُّوا (النَّجَارِيَّةَ) وَ(الصَّرَارِيَّةَ) وَ(الْكَلَابِيَّةَ) مِنْ
(الصِّفَاتِيَّةِ)، وَ(الْأَشْعَرِيَّةَ) جَبْرِيَّةً.

وَبِالنَّاتِلِيِّ؛ فَنَظَرِيَّةُ (الْحَتْمِيَّةِ) يُمَكِّنُ تَبَيُّهَا مِنْ قَبْلِ أَشَدِّ النَّاسِ إِحْدَاثًا
وَتَمَسُّكَ بِالْقَوَانِينِ الْعِلْمِيَّةِ، كَمَا يُمَكِّنُ تَبَيُّهَا مِنْ قَبْلِ أَنْاسٍ يُؤْمِنُونَ بِقَضَاءِ
اللَّهِ وَقَدَرِهِ [فَجَمِيعُ الْحَوَادِثِ الْمُسْتَقْبَلِيَّةِ مُحَدَّدَةٌ سَلْفًا وَسَتَحْدُثُ ضَرُورَةً]؛

فَيَفْهَمُونَ (الْقَضَاءَ وَالْقَدَرَ) فَهَمًّا خَاطِئًا.

وَهِيَ - فِي الْحَقِيقَةِ - انْتِقَالٌ لِلإِنْسَانِ مِنَ الْعِرْقِ الْبَشَرِيِّ إِلَى عَالَمِ
الآلَاتِ وَالْأَلْعَابِ الْإِلِكْتِرُونِيَّةِ الْمِيكَانِيكِيَّةِ [يَسِيرٌ بِ(الرَّيْمُوتِ كُنْزُتُول)]
[مُجْرِكُهُ غَيْرُهُ، وَلَا قَدْرَةَ لَهُ عَلَى شَيْءٍ]. وَهِيَ مَبْدَأٌ يَتَّخِذُهُ الْإِنْسَانُ الْكَسُولُ
الْخَامِلُ الْفَاشِلُ؛ لِيُبَرِّرَ كَسَلَهُ وَفَشَلَهُ.



وَمَعَ أَنَّ (الْعِلْمَ) عِنْدَ اللَّهِ، وَكُلَّ شَيْءٍ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ، وَالْمُؤْمِنُ يَعْلَمُ "أَنَّ
مَا أَصَابَهُ مَا كَانَ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ مَا كَانَ لِيُصِيبَهُ"؛ فَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ بِأَمْرِ
رَبِّهِ، .. فَإِنَّ (الْإِنْسَانَ) - فِي الْإِسْلَامِ - لَهُ (حُرِّيَّةُ الْاِخْتِيَارِ)، وَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ
لِلنَّاسِ طَرِيقَ الرُّشْدِ وَطَرِيقَ الضَّلَالِ عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ، وَتَرَكَ لَهُمْ أَنْ
يَخْتَارُوا؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (البَدَأُ / ١٠)؛ أَي: طَرِيقِي
الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ.....﴾ (الكَهْفُ /

٢٩)



﴿ هَلْ تُدْرِكُ مَعْنَى (الْحُرِّيَّةِ)؟ ﴾

إِنَّهَا أَتَمَنُ شَيْءٍ عِنْدَ أَصْحَابِهَا، وَعِنْدَهُمْ؛ لَا يُعَدُّ الْإِنْسَانُ إِنْسَانًا إِلَّا بِهَا!



إِنَّ وَرَاءَ أَيِّ فِعْلٍ (مَعْقُول) - أَي: صَدَرَ بِرُويَّةٍ وَتَعَقَّلَ (لَا الْفِعْلُ التَّلْقَائِيَّ

العَرِيْزِيّ) - وَرَاءَهُ: بَوَاعِثٌ .. وَمَبْرَرَاتٌ .. وَمَسْوَغَاتٌ .. وَأَسْبَابٌ .. وَدَوَافِعٌ .. وَأَهْوَاءٌ ...

وَتَتَدَخَّلُ فِيهِ: الْعَوَاطِفُ .. وَالْمَيُولُ .. وَالنَّظَرُ^(١) وَالتَّصَوُّرَاتُ،

(١) (النَّظَرُ)؛ هُوَ: أَنْ يُعْمَلَ الْإِنْسَانُ ذَهْنَهُ لِإِبْتَاتِ الْمَعْلُومَةِ أَوْ نَفْيِهَا.

قَالَ الْعَلَامَةُ/ بَدْرِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَهَادِرِ الزَّرْكَشِيِّ (ت ٧٩٤هـ) فِي «الْبَحْرِ الْمُحِيطِ فِي أَصُولِ الْفِقْهِ» (١/ ٣٢):

"(النَّظَرُ) لُغَةً: الْإِنْتِظَارُ، وَتَقْلِيْبُ الْحَدِيقَةِ نَحْوَ الْمَرْيِّ، وَالرَّحْمَةُ، وَالتَّأْمُلُ. وَيَتَمَيَّزُ بِالْمَعْدَى مِنْ حُرُوفِ الْجُرِّ.

وَفِي الْأَصْطِلَاحِ: الْفِكْرُ الْمُوَدِّي إِلَى عِلْمٍ أَوْ ظَنٍّ.

قَالَ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ فِي الشَّامِلِ: (الْفِكْرُ) هُوَ انْتِقَالُ النَّفْسِ مِنَ الْمَعَانِي انْتِقَالًا بِالْقَصْدِ، وَذَلِكَ قَدْ يَكُونُ بِطَلَبِ عِلْمٍ أَوْ ظَنٍّ؛ فَيُسَمَّى: (نَظْرًا). وَقَدْ لَا يَكُونُ؛ كَأَكْثَرِ حَدِيثِ النَّفْسِ، فَلَا يُسَمَّى نَظْرًا بَلْ تَحْيِيْلًا وَفِكْرًا. وَالْفِكْرُ أَعَمُّ مِنَ النَّظْرِ. فَالْحَاصِلُ أَنَّ قَصْدَ النَّاطِرِ الْإِنْتِقَالَ مِنْ أَجْزَاءِ الْحَدِّ ...

وَقَالَ الْعَزَلِيُّ فِي الْأَقْبِصَادِ: إِذَا أَرَدْتَ إِذْرَاكَ الْعِلْمِ الْمَطْلُوبِ؛ فَعَلَيْكَ وَظِيْفَتَانِ: إِحْدَاهُمَا؛ إِحْصَارُ الْأَصْلَيْنِ؛ أَيِ: الْمَقْدَمَتَيْنِ فِي ذَهْنِكَ. وَهَذَا يُسَمَّى فِكْرًا. وَالْآخَرُ يَسُوقُكَ إِلَى التَّفَطُّنِ؛ لِوَجْهَةِ لُزُومِ الْمَطْلُوبِ مِنْ أَرْدَوَاجِ الْأَصْلَيْنِ، وَهَذَا يُسَمَّى: طَلْبًا. ... "أ.هـ. بِإِخْتِصَارٍ.

وَقِيلَ: «النَّظَرُ»؛ هُوَ: الْفِكْرُ فِي حَالِ الْمَنْظُورِ فِيهِ [يَعْنِي: طَلَبَ الدَّلِيلِ مِنَ الْمَنْظُورِ فِيهِ]؛ =

وَالِإِدْرَاكَاتُ^(١) ... كَمَا تَتَدَخَّلُ فِيهِ: الشُّرُوطُ .. وَالظُّرُوفُ .. وَالْقَوَى

=لِيُؤَدِّيَ إِلَى الْمَطْلُوبِ سِوَاءِ كَانَ الْمَطْلُوبُ عِلْمًا أَوْ يَقِينًا أَوْ ظَنًّا.

وَالْفِكْرُ) قَدْ يَكُونُ مِنْ جِهَةٍ مَا يُصَدِّقُ بِهِ وَيُحْكَمُ عَلَيْهِ؛ كَقَوْلِنَا الرَّبَّ حَرَامٌ، وَقَدْ يَكُونُ
(الْفِكْرُ) مِنْ جِهَةٍ تَصَوِّرُ مَا وَلَا يُحْكَمُ عَلَيْهِ؛ وَذَلِكَ لِعَدَمِ الْاسْتِدْلَالِ.

(١) (الإِدْرَاكُ) أَوْ بِشَكْلِ أَكْثَرَ تَحْدِيدًا (الإِدْرَاكُ الْحِسِّيُّ Perception) مُصْطَلَحٌ يُطْلَقُ عَلَى
(الْعَمَلِيَّةِ الْعَقْلِيَّةِ) الَّتِي نَعْرِفُ بِوِاسِطَتِهَا الْعَالَمَ الْخَارِجِيَّ الَّذِي نُدْرِكُهُ؛ وَذَلِكَ عَنْ طَرِيقِ
(الْمُثِيرَاتِ الْحِسِّيَّةِ) الْمُخْتَلِفَةِ، وَلَا يَقْتَصِرُ (الإِدْرَاكُ) عَلَى مُجَرَّدِ إِدْرَاكِ الْخَصَائِصِ الطَّبِيعَةِ
لِلْأَشْيَاءِ الْمُدْرَكَةِ، وَلَكِنْ يَشْمَلُ إِدْرَاكَ الْمَعْنَى وَالرُّمُوزِ الَّتِي هَا دَلَالَةٌ بِالنِّسْبَةِ (لِلْمُثِيرَاتِ
الْحِسِّيَّةِ).

فَعَمَلِيَّةٌ تَلْقَى، وَنَفْسِيرٌ وَاخْتِيَارٌ وَتَنْظِيمٌ (الْمَعْلُومَاتِ الْحِسِّيَّةِ)؛ هِيَ مَا نَدْعُوهُ بِ(الإِدْرَاكِ
الْحِسِّيِّ) أَوْ (التَّحْسُّسِ) فِي عِلْمِ النَّفْسِ وَعُلُومِ الْاسْتِعْرَافِ.
يُدْرَسُ (الإِدْرَاكُ الْحِسِّيُّ) بِطَرِيقِ تَتْرَاوَحٍ مِنَ الْبِيبُولُوجِيَّةِ إِلَى النَّفْسَانِيَّةِ، وَحَتَّى الطَّرِيقِ
التَّجْرِبِيَّةِ؛ مِثْلَ (التَّجَارِبِ الْفِكْرِيَّةِ thought-experiment) لـ(فَلْسَفَةِ الْعَقْلِ).

إِنَّ الْعَدِيدَ مِنْ (عُلَمَاءِ النَّفْسِ الْاسْتِعْرَافِيِّينَ) يُصَرِّحُونَ أَنَّ كَبَشْرًا، عِنْدَمَا نَتَجَوَّلُ فِي الْعَالَمِ
الْمُحِيطِ بِنَا، إِنَّمَا نَبْنِي نَمُودَجَنَا الْخَاصَّ لِكَيْفِيَّةِ سَيْرِ هَذَا الْعَالَمِ. نَحْنُ نَحْسُ بِعَالَمِنَا الْمَوْضُوعِيِّ
الْحَقِيقِيِّ، لَكِنَّ إِحْسَاسَاتِنَا يَتِمُّ إِسْقَاطُهَا (تَحْوِيلُهَا) إِلَى مُدْرَكَاتٍ مُوقَّتَةٍ اِحْتِيَاطِيَّةٍ
provisional كَمَا نَكُونُ الْعَدِيدَ مِنَ الْفَرَضِيَّاتِ الْعِلْمِيَّةِ الْمُوقَّتَةِ لِحِينَ إِثْبَاتِهَا أَوْ دَحْضِهَا.

وَعِنْدَمَا نَسْتَقْبِلُ (مَعْلُومَاتِ حِسِّيَّةٍ) جَدِيدَةً؛ تَتَغَيَّرُ مُدْرَكَاتُنَا وَفَقًّا لَهَا. إِنَّ (أَبْرَاهَامَ بَايز) كَانَ

=يُوكِّدُ دَوْمًا عَلَى هَذِهِ الطَّبِيعَةِ اللَّدَنَةِ (لِلخِيَالِ الْإِنْسَانِيِّ). وَفِي حَالَةِ (الإِدْرَاكِ الْحِسِّيِّ) يُمَكِّنُ لِبَعْضِ النَّاسِ أَنْ يَرَوْا حَقِيقَةَ التَّغْيِيرِ فِي (المُدْرَكِ الْبَصْرِيِّ) بِمَا يُمَكِّنُ أَنْ نُسَمِّيَهُ (عُيُونِ عَقْلِيَّةٍ). لَكِنَّ الْأَشْخَاصَ الْآخَرِينَ الَّذِينَ لَا يَتَمَتَّعُونَ بِتَفْكِيرٍ صُورِيٍّ لَا يُمَكِّنُهُمْ أَنْ يَحْسُوا perceive حَقِيقَةَ بَتَغْيِيرِ الشَّكْلِ الْمُرَافِقِ لِتَغْيِيرِ عَالَمِهِمْ. أَحَدُ أَمْثَلَةِ هَذِهِ الْحَالَةِ هِيَ (الصُّورُ الْمُتَبَسِّئَةُ ambiguous image) الَّتِي تَمْلِكُ أَكْثَرَ مِنْ تَفْسِيرٍ عَلَى الْمُسْتَوَى الإِدْرَاكِيِّ.

فِي هَذِهِ الْحَالَةِ نَمْلِكُ جِسْمًا وَاحِدًا يُمَكِّنُ أَنْ يُنْتِجَ أَكْثَرَ مِنْ مُدْرَكٍ وَاحِدٍ، بِالتَّلَاقِي يُمَكِّنُ أَنْ نَحْدَ أَنْ جِسْمًا مَا يُمَكِّنُ أَلَّا يُنْتِجَ أَيَّ مُدْرَكٍ عَلَى الإِطْلَاقِ: إِذَا كَانَ الْمُدْرَكُ غَيْرَ مَوْجُودٍ أَسَاسًا ضَمَّنَ خِبْرَةَ الشَّخْصِ، وَعِنْدَئِذٍ يُمَكِّنُ لِلشَّخْصِ أَلَّا يُدْرِكُهُ إِطْلَاقًا.

إِنَّ هَذِهِ الطَّبِيعَةَ الْمُتَبَسِّئَةَ الْمُحِيرَةَ للإِدْرَاكِ الْحِسِّيِّ يُمَكِّنُ أَنْ تَظْهَرَ فِي بَعْضِ التَّقْنِيَّاتِ الْحَيَوِيَّةِ الَّتِي تَسْتَخْدِمُهَا الْأَحْيَاءُ فِي الطَّبِيعَةِ؛ مِثْلُ: التَّقْلِيدِ وَالتَّمْوِيهِ.

❁ وَ(الإِدْرَاكِ) فِي الْإِصْطِلَاحِ: وَصُولُ النَّفْسِ إِلَى الْمَعْنَى بِتَمَامِهِ. [يَعْنِي: (كَلِمَةُ «بَيْتِ») أَنْتَ مُتَّصِرٌ الْكَلِمَةَ وَأَنْهَا لَا تَفْعُ مَثَلًا عَلَى «السِّيَّارَةِ»].

لَكِنْ؛ كَلِمَةُ (خَنْدَرِيس)؛ هَلْ تُدْرِكُهَا؟ الْجَوَابُ: لَا. فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّهَا تُدَلُّ عَلَى الْخَمْرِ أَخَذْتَ تَصَوُّرًا صَحِيحًا وَعِلْمًا بِهَا.

فَإِنْ كَانَ لَا بِتَمَامِهِ؛ أَيُّ: مُرَدَّدًا فِيهِ أَوْ شَاكًّا أَوْ عِنْدَهُ بَعْضُ الْمَعْنَى؛ هَذَا يُسَمَّى (شُعُورًا)، وَهُوَ أَحْصَى مِنَ (الإِدْرَاكِ)، وَ(الإِدْرَاكِ) قَدْ يَكُونُ لِمُفْرَدٍ، وَقَدْ يَكُونُ لِمُرَكَّبٍ (جُمْلَةً أَسْمِيَّةً أَوْ فِعْلِيَّةً).

إِنْ كَانَ مُتَعَلِّقٌ (الإِدْرَاكِ): الْمُفْرَدُ؛ فَيُسَمَّى (تَصَوُّرًا). وَإِنْ كَانَ مُتَعَلِّقٌ (الإِدْرَاكِ): =

الخَارِجِيَّةُ .. وَمَا هُوَ مُمَكِّنٌ ...

وَهَذَا كُلُّهُ فِي ذَاتِهِ مَظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِرِ (الصَّغْفِ الْإِنْسَانِيِّ) [وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ
يَكُونَ الْإِنْسَانُ إِلَّا كَذَلِكَ].



وَمَعَ كُلِّ ذَلِكَ؛ فَأَنْتَ -عِنْدَكَ- "الْقُدْرَةُ الذَّاتِيَّةُ الْحَقِيقِيَّةُ" لِ: تَكْوِينِ
نَفْسِكَ، وَاخْتِيَارِ أَسْلُوبِكَ فِي الْحَيَاةِ، وَأَنْ تَكُونَ (الْإِنْسَانَ) .. (الشَّخْصَ)
الَّذِي تُرِيدُ أَنْ تَكُونَهُ. .. إِنَّهُ أَنْتَ الَّذِي يُمَكِّنُ لَهُ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ أَنْ يَتَأَخَّرَ ..
أَنْ يَتَوَرَّأَوْ يَتَّقَوِّعَ .. أَنْ تَعِيشَ حَيَاةَ "الْإِنْسَانِ" أَوْ أَنْ تَعِيشَ حَيَاةَ
"الْأَشْيَاءِ" [أَنْ تَكُونَ مُجْرَدَ "شَيْءٍ"؛ يَفْعَلُ بِكَ غَيْرُكَ مَا يَشَاءُ].

إِنَّكَ يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ (مَطْرَقَةً) تَضْرِبُ، أَوْ أَنْ تَكُونَ (سِنْدِيَانًا) يَتَلَقَّى
الضَّرْبَاتِ، أَوْ .. أَنْ تَكُونَ (مُسَالِمًا) بَعِيدًا عَن هَذَا وَذَلِكَ!!

إِنَّكَ يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ (سَلِيًّا) أَوْ أَنْ تَكُونَ (إِيجَابِيًّا) ... يُمَكِّنُ أَنْ
تَكُونَ شَخْصًا (اجْتِمَاعِيًّا)، أَوْ أَنْ تَكُونَ (انْطَوَائِيًّا) ... تَتَفَاعَلُ مَعَ النَّاسِ

= الْمُرَكَّبَاتُ؛ نُسَمِّيهِ (تَصْدِيقًا)، وَ(التَّصْدِيقُ) هَذَا أَحَدُ اخْتِمَالَاتِ (الْخَبْرِ)، وَالْكَلامُ يَنْقَسِمُ
إِلَى خَبْرٍ وَإِنْشَاءٍ. وَ(الْخَبْرُ): مَا يَحْتَمِلُ الصِّدْقَ وَالْكَذِبَ، وَهُوَ نَفْسُهُ مُتَعَلِّقُ الْإِدْرَاكِ
الْمُرَكَّبِ.

إِنَّ عَمَلِيَّةَ (الْإِدْرَاكِ) فِي جَوْهَرِهَا عَمَلِيَّةٌ جَمَالِيَّةٌ ذَاتُ غَايَةٍ جَمَالِيَّةٍ فِي ذَاتِهَا!.

وَالْأَحْدَاثِ، أَوْ .. لَا تَتَفَاعَلُ.

أَنْتَ حُرٌّ .. فِي عَوَاطِفِكَ وَأَحَاسِيْبِكَ وَأَنْفِعَالَاتِكَ ..

أَنْتَ حُرٌّ .. فِي أَهْوَاؤِكَ وَرَغْبَاتِكَ.

حُبُّكَ وَخَوْفُكَ وَرَجَاؤُكَ .. يَصْدُرُ عَنْكَ وَتُحَاسِبُ عَلَيْهِ (إِنْ كَانَ

بِإِرَادَتِكَ) .. (إِرَادَتُكَ الْحُرَّةُ)، انْظُرْ إِلَى قَوْلِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ: "اللَّهُمَّ!

هَذَا قَسَمِي فِيمَا أَمْلُكُ، فَاغْفِرْ لِي مَا لَا أَمْلُكُ".

وَأَمَّا الْخَوْفُ (الْعَرِيزِيُّ) -مَثَلًا- فَلَا يُحَاسِبُ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ؛ كَالْخَوْفِ

(الطَّبَعِيُّ) مِنْ حَيَوَانٍ وَحَشِيٍّ كَاسِرٍ كَالْأَسَدِ وَالْحَيَّةِ، كَمَا فِي قِصَّةِ

مُوسَى؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى

﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴿

فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴿ (طه/ ٦٥ - ٦٨).



قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ: "لَا تَتَمَنَّى مَوْقِفًا لَمْ يُوقِفْكَ اللَّهُ فِيهِ، إِنَّ قَوْمًا

رَأَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؛ وَكَفَرُوا بِهِ".

وَقَالَ ابْنُ الْقَيْمِ -رَحِمَهُ اللَّهُ: "مَعَ الصَّبِّ رِيٌّ وَلَا مَاءَ، وَكَمْ مِنْ عَطْشَانٍ

فِي اللَّجَّةِ. آمَنَ قُسٌّ [وَهُوَ: قُسُّ بْنُ سَاعِدَةَ، وَكَانَ عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ]

وَلَمْ يَرِ الرَّسُولَ، وَكَفَرَ ابْنُ أَبِي [وَهُوَ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بْنِ أَبِي سَلُولٍ؛ رَأْسُ



إِنَّكَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَأْخُذَ ثَوَابًا لِعَمَلٍ لَمْ تَعْمَلْهُ .. أَوْ تَتَحَمَّلَ وِزْرًا لَمْ تَعْمَلْهُ ... لِأَنَّكَ فَرِحْتَ بِهَذَا الْعَمَلِ أَوْ ذَاكَ، أَوْ كَرِهْتَهُ.



(الِاخْتِيَارُ) هُوَ "إِرَادَةٌ تَقَدَّمَتْهَا رُؤْيَةٌ (رُؤْيَةٌ) مَعَ تَمْيِيزٍ" [كَمَا فِي

(المُقَابَسَات) لِأَبِي حَيَّانِ التُّوْحِيدِيِّ (ص ٣١٤-٣١٥)

وَالْفِعْلُ) هُوَ "مَا يَصْدُرُ عَنِ الْإِرَادَةِ حَقِيقَةً".

وَالْفَاعِلُ) هُوَ "مَنْ يَصْدُرُ مِنْهُ الْفِعْلُ مَعَ الْإِرَادَةِ لِلْفِعْلِ عَلَى سَبِيلِ

الِاخْتِيَارِ، وَمَعَ الْعِلْمِ بِالْمَرَادِ". [كَمَا فِي (تَهَافُتِ الْفَلَّاسِفَةِ) لِأَبِي حَامِدٍ الْغَزَالِيِّ]

فَأَنْتَ حُرٌّ فِي أَنْ تَخْتَارَ بَيْنَ (الِاحْتِمَالَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ)، وَحَتَّى إِذَا

عَمِدْتَ إِلَى الْكَفِّ عَنِ (الِاخْتِيَارِ)؛ فَهَذَا فِي ذَاتِهِ ضَرْبٌ وَنَوْعٌ مِنَ

(الِاخْتِيَارِ).

فَ(الِإِنْسَانُ) مَسْئُولٌ عَنْ كُلِّ (الِاخْتِيَارَاتِ) الَّتِي اخْتَارَهَا بِ(إِرَادَتِهِ

الْحُرَّةِ) دُونَ قَسْرٍ أَوْ إِكْرَاهٍ. وَسَيَحَاسَبُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ عَلَيْهَا.

إِنَّكَ لَا تُحَاسَبُ إِلَّا عَلَى (الِاخْتِيَارِ) بَيْنَ (الْمُمْكِنَاتِ) (الْمُسْتَطَاعَةِ) ..

وَمَا لَيْسَ بِمُمْكِنٍ وَلَا مُسْتَطَاعٍ؛ فَلَا تُحَاسَبُ عَلَيْهِ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا

اَكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِضْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ
عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا
أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿البقرة/٢٨٦﴾

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ (الطلاق/٧)

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ (التغابن/١٦)



فَالسُّؤَالُ هُوَ:

هَلْ هَذَا (الشَّيْءُ) (مَوْجُودٌ)؟ ..

وَإِنْ كَانَ (مَوْجُودًا)؛ هَلْ هَذَا (المَوْجُودُ) (مُمْكِنٌ لَكَ)؟ ..

وَإِنْ كَانَ (غَيْرُ مَوْجُودٍ)؛ هَلْ يُمَكِّنُكَ إِيجَادُهُ؟

وَإِنْ كُنْتَ لَا تَسْتَطِيعُ إِيجَادَهُ؛ فَهَلْ يُمَكِّنُ أَنْ تَسْتَعِينَ بِمَنْ يَسْتَطِيعُ؟

وَهَلْ هُوَ (غَيْرُ مُمْكِنٍ) الْآنَ، أَمْ هُوَ (مُسْتَحِيلٌ) لَا يُمَكِّنُ أَبَدًا؟

[وَلأَبْدٌ مِنَ التَّفْرِقَةِ بَيْنَ الصَّعْبِ، وَالْمُسْتَحِيلِ]

وَهَلْ هُوَ (غَيْرُ مُمْكِنٍ) لِي (أَنَا)، أَمْ (غَيْرُ مُمْكِنٍ) لِي (غَيْرِي) أَيْضًا؟

فَالسُّؤَالُ: مَا الَّذِي اسْتَطِيعُ أَنْ أَفْعَلَهُ بِنَفْسِي أَوْ يُمَكِّنُ أَنْ يُسَاعِدَنِي

غَيْرِي فِي فِعْلِهِ؟



وَلَكِنْ .. مَا السَّبِيلُ إِلَى أَنْ نُحْسِنَ "الِاخْتِيَارِ"؟

إِنَّ الْإِنْسَانَ كَثِيرًا مَا يَشْعُرُ بِ(الْقَلْقِ)؛ قَبْلَ، .. وَأَثْنَاءَ، .. وَبَعْدَ ..
(الِاخْتِيَارِ) .. إِنَّهُ كَثِيرًا مَا يَسْأَلُ نَفْسَهُ أَوْ يَسْأَلُ غَيْرَهُ: هَلْ أَحْسَنْتُ (الِاخْتِيَارِ)
أَمْ أَسَأْتُ؟

إِنَّهُ قَدْ يَشْعُرُ قَبْلَ الْإِقْدَامِ عَلَى (الِاخْتِيَارِ) أَنَّهُ أَمَامَ هُوَّةٍ سَحِيقَةٍ أَوْ لَيْلٍ
شَدِيدِ الظُّلْمَةِ لَا بَارِقَةَ فِيهِ.



وَقَبْلَ أَنْ أُجِيبَ عَلَى هَذَا؛ أَقُولُ:

إِنَّ (الْقَلْقَ) فِي ذَاتِهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَسْئُولٌ عَنِ
اخْتِيَارَاتِهِ.

وَأَقُولُ: لَا سَبِيلَ إِلَى الْوُصُولِ إِلَى الطَّمَانِينَةِ وَالسَّكِينَةِ إِلَّا بِرَفْعِ
(الْجَهْلِ) ... إِلَّا بِ(الْعِلْمِ) .. الْعِلْمُ بِاللَّهِ، وَالْقُرْبُ مِنْهُ ﷺ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ ❁
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجْرُهُ (الرُّعْدُ/٢٨، ٢٩) .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ؛ يَتْلُونَ كِتَابَ
اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ فِيهَا بَيْنَهُمْ؛ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَعَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ
السَّكِينَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ".

وَقَالَ ﷺ: "عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ؛ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ ...".



إِنَّ مَنْ يَنْخَلِعَ مِنْ عِبَادَةِ "الله" يَصِيرُ عَبْدًا لَأَهْوَائِهِ وَشَهَوَاتِهِ، بَلْ رُبَّمَا صَارَ عَبْدًا لِكُلِّ حَقِيرٍ وَدَنِيٍّ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ؛ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدَّرْهَمِ، وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ [وَهُوَ ثَوْبٌ خِزٌّ أَوْ صُوفٍ مُعَلَّمٌ]، وَرَادَ فِي بَعْضِ الرُّوَايَاتِ: (الْقَطِيفَةَ): وَهُوَ كِسَاءٌ لَهُ حُمْلٌ؛ إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعَسَّ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شَيْكَ فَلَا انْتَقَشَ". رَوَاهُ البُخَارِيُّ.



نَعَمْ! .. أَنْتَ حُرٌّ فِي أَنْ تَتَخَلَّى عَنْ (حُرِّيَّتِكَ) لِمَنْ تَشَاءُ...
 فَهَذَا مَنْ يَتَخَلَّى -بِالْفِعْلِ- عَنْ حُرِّيَّتِهِ؛ مِثْلُ هَذَا الَّذِي يَتْرُكُ أَمْرَهُ بِيَدِ غَيْرِهِ يُوجِّهُهُ وَيُسَيِّرُهُ كَيْفَ يَشَاءُ!!
 وَكَتَبْتَكَ الشُّعُوبِ الَّتِي تَرْضَى أَنْ تُسْتَعْبَدَ، وَتَخْضَعُ وَتَخْنَعُ لِذَلِكَ؛ مِثْلُ (شَعْبُ فِرْعَوْنَ) كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِثْمَ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (الرُّحُوفُ / ٥٤)؛ أَي: اسْتَخَفَّ عُقُولَهُمْ فَدَعَاهُمْ إِلَى الضَّلَالَةِ وَالْاعْتِرَافِ لَهُ بِالْإِلَهِيَّةِ فَاسْتَجَابُوا لَهُ وَأَسْرَعُوا إِلَى التَّصَدِيقِ بِمَا قَالَهُ بِقَلَّةِ عُقُولِهِمْ وَسَخَافَةِ أَدْهَانِهِمْ وَعَعِشَتْ أَعْيُنُهُمْ عَنِ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ وَالنُّورِ؛ فَفَسَقْتُهُمْ هُوَ عِلَّةُ طَاعَتِهِمْ، فَإِنَّ قَوْمًا صَدَّقُوهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾، وَفِي قَوْلِهِ:

﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾؛ مِنْ أَجْهَلِ خَلْقِ اللَّهِ وَأَصْلَهُمْ، وَلَا يَمْلِكُ الطَّاعِيَةُ أَنْ يَفْعَلَ بِالْجَمَاهِيرِ هَذِهِ الْفِعْلَةَ إِلَّا وَهُمْ فَاسِقُونَ لَا يَسْتَقِيمُونَ عَلَى طَرِيقٍ، وَلَا يُمَسْكُونَ بِحَبْلِ اللَّهِ، وَلَا يَزِنُونَ بِمِيزَانِ الْإِيمَانِ. فَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ؛ فَيَصْعَبُ خِدَاعُهُمْ وَاسْتِخْفَافُهُمْ وَاللَّعِبُ بِهِمْ كَالرَّيْشَةِ فِي مَهَبِّ الرِّيحِ.



وَعَلَيْكَ أَنْ تَعْرِفَ أَنَّ (الْحُرِّيَّةَ الْمُطْلَقَةَ) لَا وُجُودَ لَهَا.



فَالاخْتِيَارُ لَكَ! ...

فَأَمَّا أَنْ تَكُونَ عَبْدًا لِمَوْلَاكَ، أَوْ.. أَنْ تَكُونَ عَبْدًا لِهَوَاكَ!

وَلَا إِكْرَاهَ فِي عِبَادَةِ (اللَّهِ) وَ.. ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [طَالَمَا لَمْ تَدْخُلْ فِي

الْإِسْلَامِ، وَتَجْعَلُهُ لُعبَةً؛ فَتَزْتَدُّ عَنْهُ، فَيَزْتَدُّ بِرِدَّتِكَ آخَرُونَ مِنْ ضِعَافِ الْإِيمَانِ]؛

ف(الْإِكْرَاهُ) لَا يَنْتُجُ عَنْهُ إِيْمَانٌ؛ وَلَكِنْ نِفَاقٌ، وَالْإِسْلَامُ لَا يَرْضَى بِالنِّفَاقِ.

وَ(عَدَمُ الْإِكْرَاهِ) هُوَ اخْتِيَارٌ إِرَادَةُ الْإِنْسَانِ وَفِكْرُهُ وَمَشَاعِرُهُ.



إِنَّ (حُرِّيَّةَ الْاِعْتِقَادِ) هِيَ أَوَّلُ (حُقُوقِ الْإِنْسَانِ) كَر(إِنْسَانِ). [وَلَكِنْ؛ كَمَا

حَدَّدَهَا (الْإِسْلَامُ)، لَا تِلْكَ (الْحُرِّيَّةَ) (الْمُطْلَقَةَ) بِلَا قَيْدٍ؛ كَمَا يُرِيدُهَا الْمُتْلَاعِبُونَ

بِالْأَدْيَانِ وَهُوَ لَأِ الزَّنَادِقَةُ وَالْمُلْحِدُونَ ...]

وَلَكِنْ لَا تَعْنِي (الْحُرِّيَّةُ) الْخُرُوجَ عَلَى (شَرْعِ اللَّهِ)؛ بَلْ .. (شَرْعُ اللَّهِ) هُوَ الَّذِي نَشْعُرُ بِحُرِّيَّتِكَ مِنْ خِلَالِهِ، فَهَذَا الدِّينُ يَبْنِي الْقِيَمَةَ الدَّائِمَةَ لِلْفَرْدِ مَعَ الْحِفَاطِ عَلَى تَمَاسُكِ الْمَجْتَمَعِ.

فَعُبُودِيَّتِكَ لِلَّهِ هِيَ الَّتِي تَمْنَحُكَ التَّحَرُّرَ مِنْ عُبُودِيَّةِ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ وَالْهَوَى، بَلْ تُحَرِّرُكَ مِنْ عُبُودِيَّةِ كُلِّ حَقِيرٍ وَدَنِيٍّ فِي الْأَرْضِ.

وَنَحْنُ نَمْلِكُ فِي شَرِيْعَتِنَا قَوَاعِدَ وَأُصُولَ سَامِيَةَ فِي كَيْفِيَّةِ التَّعَامُلِ مَعَ الْمُوَافِقِ وَالْمُخَالَفِ فِي الْعَقِيدَةِ وَالْفِكْرِ، وَلَكِنْ جَهْلُ بَعْضِهِمْ بِهَذِهِ الْقَوَاعِدِ جَعَلَهُمْ يَحْكُمُونَ عَلَى الْإِسْلَامِ بِأَنَّهُ يُحَارِبُ أَوْ يُقْصِي حُقُوقَ الْآخَرِينَ، وَهَذَا حُكْمٌ ظَالِمٌ، فَالْعَالَمُ لَمْ يَعْرِفْ مَعْنَى (الْحُرِّيَّةِ) وَحُقُوقِ الْإِنْسَانِ إِلَّا بَعْدَ بُرُوعِ فَجْرِ الْإِسْلَامِ، وَإِنْ كَانَ هُنَاكَ تَطْبِيقٌ خَاطِئٌ نَتِيجَةَ هَجْرِ الْقَوَاعِدِ الْكَلْبِيَّةِ الْقِيَمَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي كَيْفِيَّةِ التَّعَامُلِ مَعَ الْآخَرِ أَيَّا كَانَ هَذَا الْآخَرُ؛ فَلَا يُنْسَبُ هَذَا الْخَطَأُ إِلَى الْإِسْلَامِ بَلْ لِفَاعِلِ الْخَطَأِ.



وَالسُّوَالُ الْآنَ:

هَلْ تَحَرَّرَ عَقْلُكَ مِنْ (عُبُودِيَّةِ): الْأَهْوَاءِ، وَالْعَرَائِزِ، وَالشَّهَوَاتِ، وَالْجَهْلِ؟ ...

فَبَقْدَرِ سِمُوكَ بِنَفْسِكَ فَوْقَ كُلِّ ذَلِكَ .. تَكُونُ حُرِّيَّتِكَ.



"(الْوُجُودُ يَسْبِقُ الْمَاهِيَةَ) ... وَالْإِنْسَانُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعَيِّرَهَا!"

هَلْ عِنْدَكَ طُمُوحٌ؟ ...

مَا (الشَّخْصُ) الَّذِي تُرِيدُ أَنْ تَكُونَهُ؟



إِنَّ (الْإِنْسَانَ) يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ أَسِيرًا لِمَا ضِيهِ، وَمَتَّقُوقَةً فِي (حَاضِرِهِ)

... وَيُمَكِّنُ أَنْ لَا يَكُونَ كَذَلِكَ!

إِنَّهُ .. يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعَيِّرَ حَيَاتَهُ، وَأَنْ يَكُونَ شَخْصًا جَدِيدًا؛ كَمَا يُرِيدُ!!!

مَا فَعَلْتَهُ مَرَّةً؛ لَا يَعْنِي أَنْ تَسْتَمِرَّ فَتَفْعَلُهُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ!!!

الصَّحَابَةُ نَعَّيْرَتِ حَيَاتُهُمْ تَمَامًا: مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ إِلَى الْإِسْلَامِ .. مِنْ عِبَادَةِ

الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ وَالصَّيِّمِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحُدَّةِ الرَّحْمَنِ .. مِنْ رِعَاةِ لِلِإِبِلِ

وَالعَنَمِ إِلَى رِعَاةِ وَقَادَةِ وَسَادَةِ لِلْأُمَمِ.

فَ"الْإِسْلَامُ يُحِبُّ مَا قَبْلَهُ، وَالتَّوْبَةُ تُحِبُّ مَا قَبْلَهَا" ...

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ

اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الرُّمَّ ٥٣)



وَأَنْظُرْ كَيْفَ وَاجَهَ الصَّحَابَةُ ﷺ الصُّعُوبَاتِ الشَّدِيدَةَ وَالظُّرُوفَ الْقَاسِيَةَ

الَّتِي وَاجَهُوهَا؛ وَلَمْ تَحُلْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَنْ يَكُونُوا عَلَىٰ مَا أَصْبَحُوا عَلَيْهِ

فَأَصْبَحُوا مِلَّءَ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ.

فَهَذَا مَثَلًا (ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ) ﷺ؛ اسْمُهُ عَمْرُو، وَقِيلَ: كَانَ اسْمُهُ الْحُصَيْنُ

فَسَمَاهُ النَّبِيُّ ﷺ: عَبْدَ اللَّهِ، وَلَا يَمْنَعُ أَنَّهُ كَانَ لَهُ إِسْمَانِ، وَهُوَ قُرَشِيٌّ
عَامِرِيٌّ، أَسْلَمَ قَدِيمًا، وَالْأَشْهُرُ فِي إِسْمِ أَبِيهِ: (قَيْسُ بْنُ زَائِدَةَ). وَكَانَ النَّبِيُّ
ﷺ يُكْرِمُهُ وَيَسْتَخْلِفُهُ عَلَى الْمَدِينَةِ، وَشَهِدَ الْقَادِسِيَّةَ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ
فَاسْتُشْهِدَ بِهَا، وَقِيلَ: رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَمَاتَ، وَهُوَ الْأَعْمَى الْمَذْكُورُ فِي
سُورَةِ (عَبَسَ)، وَاسْمُ أُمِّهِ: (عَاتِكَةُ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَخْزُومِيَّةَ). وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ
أَنَّهُ وُلِدَ أَعْمَى فَكُتِبَتْ أُمُّهُ (أُمُّ مَكْتُومٍ)؛ لِأَنَّهُ تَمَّ نُورَ بَصَرِهِ، وَالْمَعْرُوفُ أَنَّهُ
عَمِيَ بَعْدَ بَدْرِ بَسْتَيْنِ.

فَانظُرْ كَيْفَ أَصْبَحَ فِي أَعْلَى الْمَنَاصِبِ الدُّنْيَا وَالدُّنْيَا: فَهُوَ مُؤَدِّنُ
النَّبِيِّ ﷺ وَأَمِيرُ الْمَدِينَةِ، بَلْ مُجَاهِدًا فَمَاتَ شَهِيدًا ۞!!!



وَتِلْكَ الْمَرْأَةُ الْعَمِيَاءُ الصَّمَاءُ الْبَكْمَاءُ (Helen Adams Keller)
(هِيلين كِيلر) (٢٧ يُونِيُو ١٨٨٠ - ١ يُونِيُو ١٩٦٨)، وُلِدَتْ فِي وِلَايَةِ "أَلَابَامَا"
الْأَمْرِيكِيَّةِ، وَتُوُفِّيَتْ عَنِ ثَمَانِيَّةٍ وَثَمَانِينَ عَامًا.

قَالَ عَنْهَا الْأَدِيبُ "مَارْكُ نُويِن" (١٨٣٥-١٩١٠):

"إِنَّ أَعْظَمَ شَخْصِيَّتَيْنِ فِي الْقَرْنِ التَّاسِعِ عَشَرَ هُمَا: (نَابِلْيُون
بُونَابَرْت)، وَ(هِيلين كِيلر)".

وَهِيَ أَدِيبَةٌ وَمُحَاضِرَةٌ وَنَاشِطَةٌ أَمْرِيكِيَّةٌ، وَلَمْ تَسْتَسَلِمِ لِتِلْكَ الْإِعَاقَاتِ
الَّتِي حَلَّتْ بِهَا؛ وَأَصْبَحَتْ عَالِمَةً، وَهِيَ تُعْتَبَرُ مُعْجِزَةً مِنْ مُعْجِزَاتِ الدُّنْيَا

وَإِحْدَى رُمُوزِ الْإِرَادَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ ؛ حَيْثُ إِنَّهَا كَانَتْ فَاقِدَةً السَّمْعِ وَالْبَصَرِ،
 [وَلَمْ تُوَلَدْ (هَيْلِينَ كَيْلِر) عَمِيَاءَ وَلَا صَمَاءَ؛ لَكِنَّهَا أُصِيبَتْ بِذَلِكَ لِمَرْضَاهَا بَعْدَ
 بُلُوغِهَا تِسْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَظَلَّتْ صَمَاءَ وَبِكْمَاءَ وَعَمِيَاءَ؛ إِلَى أَنْ بَلَغَتْ
 السَّابِعَةَ مِنْ عُمْرِهَا]، فَتَعَلَّمَتْ، وَاسْتَطَاعَتْ أَنْ تَتَعَلَّبَ عَلَى إِعَاقَتِهَا، وَتَمَّ
 تَلْقِيُهَا بِ(مُعْجَزَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ) لِمَا قَاوَمَتْهُ مِنْ إِعَاقَتِهَا حَيْثُ أَنَّ مَقَاوِمَةَ تِلْكَ
 الظُّرُوفِ كَانَتْ بِمِثَابَةِ مُعْجَزَةٍ.



مِمَّا قَالَتْهُ فِي أَحَدِ كُتُبِهَا:

"كُنْ مُنْشَرِحَ الصِّدْرِ دَائِمًا، وَلَا تُفَكِّرْ فِي إِخْفَاقَاتِ الْيَوْمِ؛ وَلَكِنْ اهْتَمِّ
 بِاللِّجَاحَاتِ الَّتِي رُبَّمَا تَأْتِي فِي الْعَدِ الْقَرِيبِ".

وَمِنْ أَقْوَالِهَا أَيضًا:

"إِنَّ الْعَمَى لَيْسَ بِشَيْءٍ، وَإِنَّ الصَّمَمَ لَيْسَ بِشَيْءٍ، فَكُنَّا - فِي حَقِيقَةِ
 الْأَمْرِ - عُمَى وَصَمٌّ عَنِ الْجَلَائِلِ الْخَالِدَةِ فِي هَذَا الْكُونِ الْعَظِيمِ".

وَمِنْ كَلِمَاتِ (هَيْلِينَ) أَيضًا الَّتِي وَرَدَتْ فِي كُتُبِهَا:

"يَتَعَجَّبُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ عِنْدَمَا أَقُولُ لَهُمْ بَأَنِّي سَعِيدَةٌ، فَهَمْ يَتَخَيَّلُونَ
 أَنَّ النَّقْصَ فِي حَوَاسِي عِبءٌ كَبِيرٌ عَلَى ذَهْنِي يَرْبُطُنِي دَائِمًا بِصَخْرَةِ
 الْيَأْسِ.

وَمَعَ ذَلِكَ؛ فَإِنَّهُ يَبْدُو لِي أَنَّ عِلَاقَةَ السَّعَادَةِ بِالْحَوَاسِ صَغِيرَةٌ جِدًّا،

فَإِنَّا إِذَا قَرَّرْنَا فِي أَذْهَانِنَا أَنَّ هَذَا الْعَالَمَ تَافَهُ يَسِيرُ جُزْأً بِلَا غَايَةٍ فَإِنَّهُ
يَبْقَى كَذَلِكَ وَلَمْ تَتَبَدَّلْ صُورَتُهُ [وَهُوَ لَيْسَ كَذَلِكَ؛ فَقَدْ خَلَقَهُ اللَّهُ ﷻ لِغَايَةٍ]،
بَيْنَمَا نَحْنُ إِذَا اعْتَقَدْنَا أَنَّ هَذَا الْعَالَمَ لَنَا خَاصَّةً وَأَنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
يَتَعَلَّقَانِ فِي الْفَضَاءِ لِنَتَمَتَّعَ بِهِمَا؛ فَإِنَّ هَذَا الْإِعْتِقَادَ يَمْلَأُنَا سُرُورًا لِأَنَّ
نُفُوسَنَا تَتَمَجَّدُ بِالْخَلْقِ وَتُسْرُّ بِهِ كَأَنَّهَا نَفْسُ رَجُلٍ الْفَنِّ.

وَالْحَقُّ أَنَّهُ مِمَّا يَكْسِبُ هَذِهِ الْحَيَاةَ كَرَامَةً وَوَجَاهَةً أَنْ نَعْتَقِدَ أَنَّنَا وُلْدُنَا
لِكِي نُؤَدِّيَ أَغْرَاضًا سَامِيَةً وَأَنَّ لَنَا حَظًّا يَتَجَاوَزُ الْحَيَاةَ الْمَادِيَّةَ."
وَقَالَتْ (هَيْلِن) أَيْضًا:

"إِذَا اعْتَرَضَ عَلَيَّ شَخْصًا؛ مُتَسَائِلًا: أَلَا تَسَامِينِ مِنْ وَحْدَةِ الْأَشْيَاءِ
الَّتِي تَمَسِينَهَا؛ وَأَنْتِ لَا تَرِينَ اخْتِلَافَ الضَّوِّ وَالظَّلَامِ عَلَيْهَا؟ أَلَيْسَتْ الْإَيَّامُ
كُلُّهَا سَوَاءً لَدَيْكَ؟

سَوْفَ أَقُولُ: كَلَّا؛ إِنَّ أَيَّامِي كُلَّهَا مُخْتَلِفَةٌ، فَلَيْسَتْ هُنَاكَ سَاعَةٌ تُشْبِهُ
أُخْرَى عِنْدِي؛ فَإِنِّي بِحَاسَةِ اللَّمْسِ أَشْعُرُ بِجَمِيعِ التَّغْيِرَاتِ الَّتِي تَطْرُقُ عَلَيَّ
الْجَوِّ، وَإِنِّي مُتَاكِّدَةٌ أَنَّ الْإَيَّامَ تَخْتَلِفُ عِنْدِي بِمَقْدَارِ اخْتِلَافِهَا عِنْدَ الَّذِينَ
يَنْظُرُونَ إِلَى السَّمَاءِ وَلَا يُبَالُونَ بِجَمَالِهَا بَلْ يَرْصُدُونَهَا لِيَقْفُوا مِنْهَا: هَلْ
تُمْطِرُ أَمْ لَا؟

وَفِي بَعْضِ الْإَيَّامِ تَنْسَكِبُ الشَّمْسُ فِي مَكْتَبِي فَأَشْعُرُ أَنَّ مَسْرَاتِ
الْحَيَاةِ قَدْ احْتَشَدَتْ فِي كُلِّ شُعَاعٍ مِنْ أَشْعَتِهَا.

وَهُنَاكَ أَيَّامٌ يَنْزِلُ فِيهَا الْمَطَرُ؛ فَاشْعُرْ كَأَنَّ ظِلًّا يَتَعَلَّقُ بِي وَتَنْتَشِرُ رَائِحَةُ
الْأَرْضِ الرُّطْبَةِ فِي كُلِّ مَكَانٍ.

وَهُنَاكَ أَيَّامُ الصَّيْفِ الْمُخَدَّرَةِ حِينَ يَهْبُ السَّيْمُ الْعَلِيلُ وَيُعْرِينِي
بِالْخُرُوجِ إِلَى مِظَلَّتِي حَيْثُ أَتَمَدَّدُ وَأَحْلُمُ بِالزَّهْرِ يَعْشَاهُ النَّحْلُ.

وَهُنَاكَ سَاعَاتُ الْعَجَلَةِ وَالْأَزْدِحَامِ حِينَ تَحْتَشِدُ الْخِطَابَاتُ عَلَى
مِضْدَتِي. ثُمَّ سَاعَاتُ لَا نِهَايَةَ لَهَا تَخْتَلِفُ وَتَتَفَقُّ مَعَ الْمُفَكِّرِينَ وَالشُّعْرَاءِ.

وَكَيْفَ أَسَامُ مَا دَامَتِ الْكُتُبُ حَوْلِي".

كَمَا تَتَحَدَّثُ (هَيْلِين) عَنْ (حَاسَةِ الشَّمِّ) لَدَيْهَا؛ فَتَقُولُ: "إِنَّ حَاسَةَ
الشَّمِّ لَدَيْ مِنْ أَثْمَنِ وَأَهَمَّ مَا أَمْلِكُهُ فِي حَيَاتِي الْيَوْمِيَّةِ فَإِنَّ الْجَوْ مُمْتَلِيٌّ
بِالرَّوَائِحِ الَّتِي لَا حَصْرَ لَهَا أَعْرِفُ مِنْهَا الْأَمَاكِينَ وَالْأَشْيَاءَ".



وَعَيْرٌ (هَيْلِين) كَثِيرُونَ؛ مِمَّنْ انْتَصَرُوا عَلَى مَا عِنْدَهُمْ مِنْ
إِعَاقَاتٍ!!



فَ"الْإِنْسَانُ" يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعَيَّرَ "مَا هَيْئَتُهُ" (أَيُّ: شَخْصِيَّتُهُ) ...
إِنَّهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَحَجَّرَ فِي صُورَةٍ نَائِبَةٍ .. وَيَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَعَيَّرَ ..
وَهَذَا مَا يُمَيِّزُهُ عَنِ الْحَيَوَانَ، بَلْ عَنْ غَيْرِهِ مِنَ (الْأَشْيَاءِ) ..
إِنَّهُ "إِنْسَانٌ"!! .. إِنَّهُ لَيْسَ شَيْئًا مِنَ (الْأَشْيَاءِ) لَا يُفْهَمُ وُجُودُهَا إِلَّا عَلَى

ضَوْءٍ (مَا هَيْتَهَا) الَّتِي خُلِقَتْ عَلَيْهَا ...

إِنَّهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُدْرِكَ وَيَعِيَ .. وَأَنْ يُفَكِّرَ وَيَتَعَلَّمَ .. إِنَّهُ يَمْلِكُ الْقُدْرَةَ
عَلَى أَنْ يُعَيِّرَ وَيَتَغَيَّرَ ...

فَالْإِنْسَانُ لَيْسَ أَسِيرَ (الْوِرَاثَةِ) وَ(الْبَيْئَةِ) أَوْ حَتَّى (مَاضِيهِ) ..

إِنَّهُ لَا يَكْفُ مُطْلَقًا عَنْ أَنْ يَخْتَارَ لِنَفْسِهِ مَا يُرِيدُ أَنْ يَكُونَهُ.

فَكَمْ مِنْ إِنْسَانٍ غَيَّرَ مَجْرَى حَيَاتِهِ! .. كَمْ مِنْ إِنْسَانٍ سَمَا وَارْتَفَعَ
وَأَنْتَصَرَ عَلَى كُلِّ الْمَعْوَقَاتِ الَّتِي وَاجَهْتَهُ! وَعَكَسُ ذَلِكَ؛ كَمْ مِنْ إِنْسَانٍ
سَقَطَ وَأَنْحَدَرَ!!!



أَنْتَ تَنْبُضُ بِالْحَيَاةِ؛ طَالَمَا .. تَخْطُو قَدَمَاكَ نَحْوَ (الْمُسْتَقْبَلِ).



وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ

الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ". رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ مَاجَهَ، وَأَحْمَدُ، وَغَيْرُهُمْ. وَالْحَدِيثُ فِيهِ: عَلِيُّ بْنُ مَسْعَدَةَ الْبَاهِلِيُّ

ضَعِيفٌ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ؛ وَقَدْ تَفَرَّدَ.



هَلْ تُؤْمِنُ بِهَذَا الْمَبْدَأِ؟

"أَنْتَ حُرٌّ مَا لَمْ تَصُرْ" ...

"حُرِّيَّتِكَ تَنْتَهِي حَيْثُ تَبْدَأُ حُرِّيَّةُ الْآخَرِينَ".

إِنْ سَلَّمْنَا جَدَلًا بِذَلِكَ - وَلَا نُسَلِّمُ -؛ فَإِنَّا يُمَكِّنُ أَنْ نَأْمَنَ - مِنْ خِلَالِ
هَذَا الْمَبْدَأِ - عَدَمَ وَقُوعِ ضَرِّكَ عَلَى الْآخِرِينَ ... وَرَبَّمَا عَدَمَ وَقُوعِ ضَرِّ
الْآخِرُونَ عَلَيْكَ ..

وَلَكِنْ .. مَاذَا عَنْ ضَرِّكَ لِنَفْسِكَ؟

فَهَلْ يَعْنِي هَذَا الْمَبْدَأُ:

"أَنْتَ حُرٌّ فِي أَنْ تَضُرَّ بِنَفْسِكَ كَمَا تَشَاءُ"!!!

هَلْ أَنْتَ حُرٌّ - مَثَلًا - فِي (جَسَدِكَ)؛ فَتَشَوِّهُهُ أَوْ تُمَرِّقَهُ؟ .. أَوْ أَنْ تُتَاجَرَ
فِيهِ وَتَبِيعَهُ؟ .. أَوْ أَنْ تَشْرَبَ الْخَمْرَ .. أَوْ أَنْ تَزْنِيَ؟ .. أَوْ تُعْطِيَ الْمَرْأَةَ
جَسَدَهَا مُنْعَةً لِكُلِّ طَالِبٍ مُنْعَةً؟

هَلْ أَنْتَ حُرٌّ فِي (مَالِكَ)؛ فَتُمَرِّقَهُ أَوْ تَحْرِقَهُ؟ أَوْ أَنْ تَحْرِمَ وَرَثَتَكَ مِنْهُ
وَتُوقِفَهُ لِلْقَطَطِ وَالْكِلَابِ - كَمَا يَحْدُثُ فِي الْعَرَبِ؟

هَلْ أَنْتَ حُرٌّ فِي (حَيَاتِكَ)؛ فَتُنْهِيَهَا وَأَنْ تَنْتَحِرَ؟



إِنَّ الْإِسْلَامَ حَرَّمَ كُلَّ أَنْوَاعِ (الظُّلْمِ) [كَثِيرِهِ وَقَلِيلِهِ، عَظِيمِهِ وَصَغِيرِهِ،
جُلِّهِ وَدَقِّهِ]؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: "يَا عِبَادِي! إِنِّي حَرَّمْتُ (الظُّلْمَ)
عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا؛ فَلَا تَظَالَمُوا. ...". حَتَّى ظَلَمَ الْإِنْسَانُ لِنَفْسِهِ
حَرَمَهُ الْإِسْلَامَ .. فَكُلُّ مَا ذُكِرَ حَرَمَهُ الْإِسْلَامَ؛ فَلَيْسَ لَكَ - مَثَلًا - أَنْ تَحْرِقَ
مَالَكَ أَوْ تُمَرِّقَهُ .. أَوْ تَمْنَعَ وَرَثَتَكَ مِنْ مِيرَاثِهِمْ ... لَيْسَ لَكَ أَنْ تُشَوِّهَ

جَسَدَكَ .. أَوْ أَنْ تُتَاجَرَ فِيهِ وَتَبِيعَهُ؟ .. أَوْ أَنْ تَشْرَبَ الْخَمْرَ .. أَوْ أَنْ تُزْنِي!!!
 وَأَسْوَأُ ذَلِكَ (الانْتِحَارُ)؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "مَنْ
 قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا
 أَبَدًا، وَمَنْ شَرِبَ سَمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا،
 وَمَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَرَدَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا".



إِنَّ الْمَخْلُوقَاتِ كُلَّهَا سَبَقَ الْعَدَمُ وَجُودَهَا ... فَهَذَا هُوَ "الْإِنْسَانُ"؛ كَانَ
 "عَدَمًا" .. كَانَ "الْأَشْيَاءُ" ...

وَلَا يُؤْمِنُ أَنْ بَعْدَ هَذِهِ الْحَيَاةِ حَيَاةٌ إِلَّا (الْمُؤْمِنُ)؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
 ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ (الْإِنْسَانُ/١).
 وَلِذَا؛ فَشَتَّانَ بَيْنَ حَيَاةِ (الْمُؤْمِنِ)، وَبَيْنَ حَيَاةِ غَيْرِهِ مِنَ الْبَشَرِ.

إِنَّ غَيْرَ الْمُؤْمِنِ لَا يُمَكِّنُ أَبَدًا أَنْ يَصِلَ إِلَى (الْيَقِينِ) إِلَّا فِي لَحْظَةٍ
 (الْمَوْتِ) وَمَا بَعْدَهَا؛ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ

مِنْهُ تَحِيدُ﴾ (ق/١٩).



إِنَّ (الْإِنْسَانَ) -مِنَّا- يَحْتَاجُ إِلَى عِلْمٍ وَفَنِّ (الإِدَارَةِ) لِيُدِيرَ حَيَاتَهُ،
 فَلأَبَدٍ مِنْ عَمَلِيَّةِ (التَّخْطِيطِ Planning)، وَتَحْدِيدِ (مَاذَا يُرِيدُ؟) وَ(كَيْفَ
 يَصِلُ إِلَى مَا يُرِيدُ؟)، وَاتِّخَاذِ الْقَرَارَاتِ الصَّحِيحَةِ وَالْمُسْتَمِرَّةِ؛ لِلْوُصُولِ إِلَى
 (الْأَهْدَافِ) الَّتِي يَرْجُوهَا لِنَفْسِهِ وَمُجْتَمَعِهِ. وَذَلِكَ بِاسْتِخْدَامِ وَتَوْظِيفِ

وَتَطْوِيرِ كَافَّةِ الْمَصَادِرِ الْمَادِيَّةِ وَالْفِكْرِيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ الْمَتَاحَةِ [وَلَا بَدَّ مِنْ: مُطَابَقَةَ (الْهَدَفِ) مَعَ (الإِمْكَانَاتِ الْمَتَاحَةِ)].



فَ(الإِدَارَةُ) هِيَ: فَنُ الْحُصُولِ عَلَى أَقْصَى نَتَائِجٍ بِأَقَلِّ جَهْدٍ حَتَّى يُمَكِّنَ تَحْقِيقَ أَقْصَى سَعَادَةٍ وَأَفْضَلِ خِدْمَةٍ لِلإِنْسَانِ وَلِلْمُجْتَمَعِ. وَلِذَا؛ لِأَبْدٍ مِنَ الْقِيَامِ بِخَمْسَةِ وَظَائِفٍ؛ هِيَ:

الْوِظِيفَةُ الْأُولَى: تَحْدِيدُ الْأَهْدَافِ.

الْوِظِيفَةُ الثَّانِيَّةُ: تَرْتِيبُ وَتَنْظِيمُ الْعَمَلِ.

الْوِظِيفَةُ الثَّلَاثَةُ: التَّحْفِيزُ وَالِاتِّصَالُ.

الْوِظِيفَةُ الرَّابِعَةُ: التَّقْيِيمُ وَالْقِيَاسُ.

الْوِظِيفَةُ الْخَامِسَةُ: تَطْوِيرُ الْأَدَاءِ.

وَ(الإِدَارَةُ) تَخْتَصُّ بِ: (التَّخْطِيطِ Planning)، وَ(التَّنْبُؤِ Forecasting)

لِتَقْدِيرِ الظُّرُوفِ الْمُسْتَقْبَلِيَّةِ وَفَقًّا لِمَجْمُوعَةٍ مِنَ الْأَسَالِبِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ

لِلْوُصُولِ إِلَى الْهَدَفِ أَوْ إِعَادَةِ صِيَاغَتِهِ، فَالِاخْتِيَارُ يَقُومُ عَلَى الْاِحْتِمَالَاتِ الْمُسْتَقْبَلِيَّةِ

لِهَذَا الْاِحْتِمَالِ أَوْ ذَاكَ وَالتَّنَائِجِ الْمُرْتَبَّةِ عَلَى ذَلِكَ وَالْمَسَالِكِ الْبَدِيلَةِ وَتَقْوِيمِهَا

وَالْمَفَاضِلَةَ بَيْنَهَا بِشَكْلِ مَوْضُوعِيٍّ (فَالِاخْتِيَارُ عَمَلِيَّةٌ مُرَكَّبَةٌ وَمُتَشَابِكَةٌ)،

وَ(التَّنْظِيمِ Organizjng)، وَ(التَّوْجِيهِ وَتَنْمِيَةِ الْكِفَايَاتِ Dircting) [لِتَوْجِيهِ

الْجُهُودِ لِتَنْفِيذِ الْأَهْدَافِ]، وَ(الْمُرَاقَبَةِ Controlling) [وَهِيَ عَمَلِيَّةٌ مُسْتَمْرَّةٌ

لِكَشْفِ الْأَخْطَاءِ وَالْأَنْحِرَافَاتِ عَنِ الْجَادَّةِ لِاتِّخَاذِ الْخُطُواتِ الْعَمَلِيَّةِ الْمُنَاسِبَةِ فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ].



إِنَّ (حَيَاتَكَ) كُلَّهَا - فِي الْحَقِيقَةِ - عِبَارَةٌ عَنِ الْعَدِيدِ مِنَ (الْعَمَلِيَّاتِ)، أَوْ - إِنَّ شِئْنَا الدَّقَّةَ - (عَمَلِيَّةً) فِيهَا الْعَدِيدُ مِنَ (الْعَمَلِيَّاتِ).
فَكَلِمَةُ (عَمَلِيَّةً) يُقْصَدُ بِهَا: "طَرِيقَةٌ مُحَدَّدَةٌ لِإِنْجَازِ أَعْمَالٍ مُعَيَّنَةٍ، وَتَشْمَلُ هَذِهِ الطَّرِيقَةُ عَدَدًا مِنَ الْخُطُواتِ"؛ كَمَا فِي قَامُوسٍ "وَيْبِسْتَر"، فَهِيَ تَشْمَلُ الْمَفَاهِيمَ الْآتِيَةَ:

١. أُسْلُوبٌ مُحَدَّدٌ يَجِبُ اتِّبَاعُهُ.
 ٢. هَذَا الْأُسْلُوبُ يُؤَدِّي إِلَى إِنْجَازِ أَعْمَالٍ مُعَيَّنَةٍ.
 ٣. هَذِهِ الْأَعْمَالُ تَتِمُّ عَنْ طَرِيقِ عَدَدٍ مِنَ الْخُطُواتِ أَوْ الْعَمَلِيَّاتِ.
- تَنْبِيهِ: لَا تُوجَدُ قَوَاعِدُ عِلْمِيَّةٌ يُمَكِّنُ تَطْبِيقَهَا تَلْقَائِيًّا عَلَى الْمَشْكَلاتِ.



إِنَّ الْأُمَّمَ وَالْمُجْتَمَعَاتِ وَالْأَشْخَاصَ - وَمُنْذُ الْقِدَمِ - تُحَدِّدُ لِنَفْسِهَا (الْهَدَفَ) [الاستراتيجية Strategy] [بِخِلَافِ (الْأَهْدَافِ التَّكْتِيكِيَّةِ)]، وَهِيَ خُطْطٌ أَوْ طُرُقٌ تُوضَعُ لِتَحْقِيقِ هَدَفٍ مُعَيَّنٍ عَلَى الْمَدَى الْبَعِيدِ اعْتِمَادًا عَلَى (التَّخْطِيطَاتِ) وَالْإِجْرَاءَاتِ فِي اسْتِخْدَامِ الْمَصَادِرِ الْمَتَوَفَّرَةِ فِي الْمَدَى الْقَصِيرِ.

وَيَعُودُ أَصْلُ كَلِمَةِ (الاستراتيجية Strategy) إِلَى التَّعْبِيرِ الْعَسْكَرِيِّ، وَلَكِنَّهَا الْآنَ تُسْتَعْمَدُ بكَثْرَةٍ فِي سِيَاقَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ وَمَجَالَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ فِي شَتَّى مَنَاحِ الْحَيَاةِ الْعَامَّةِ.



وَالْأَهْدَافُ تُعْتَبَرُ بِمَثَابَةِ (الغَايَاتِ) الَّتِي يَجِبُ تَوْجِيهِ كَافَةِ الْجُهُودِ نَحْوَ تَحْقِيقِهَا وَالْعَمَلِ عَلَى تَنْفِيذِهَا، وَتَتَوَقَّفُ فَاعِلِيَةُ الْإِنْسَانِ نَحْوًا أَنْجَازِهَا عَلَى مَدَى (الإِدْرَاقِ) لَدَيْهِ لِذَلِكَ وَتَفْهَمِهَا لَهَا وَإِيمَانِهِ بِهَا. إِنَّ قُدْرَةَ الْإِنْسَانِ عَلَى اتِّخَاذِ قَرَارٍ يَخُصُّ نَفْسَهُ؛ لِأَبَدٍ فِيهَا: الْمُرُونَةُ وَالْقُدْرَةُ عَلَى التَّجْرِبِ وَالِابْتِكَارِ؛ لِلْبَحْثِ عَنْ أَفْضَلِ النُّظْمِ الْكَفِيلَةِ بِمُسَاعَدَتِهِ عَلَى تَحْقِيقِ أَهْدَافِهِ.

إِنَّ (تَحْدِيدَ الْأَهْدَافِ) يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ عَمَلِيَّةُ (اتِّخَاذِ الْقَرَارَاتِ)؛ الَّتِي هِيَ مِنْ أَهَمِّ الْوِظَائِفِ الَّتِي يَقُومُ بِهَا (الْإِنْسَانُ)، وَلَا بَدَأَ أَنْ يُحَسِّنَ (الْإِنْسَانُ) مَبَادِيَّ (التَّنْظِيمِ) الَّتِي تُضَمِّنُ سَلَامَةَ اتِّخَاذِ الْقَرَارَاتِ بِالْقَدْرِ الَّذِي تَحْتَوِي فِيهِ عَلَى مَبَادِيٍّ كَفَاعَةِ التَّنْفِيذِ.

إِنَّ (اتِّخَاذَ الْقَرَارَاتِ) هُوَ نُقْطَةُ الْبَدَأِ بِالنِّسْبَةِ لِجَمِيعِ الْإِجْرَاءَاتِ وَأَوْجُهِ الشَّاطِطِ وَالتَّصَرُّفَاتِ الَّتِي يَقُومُ بِهَا (الْإِنْسَانُ).

إِنَّهَا عَمَلِيَّةٌ مُسْتَمِرَّةٌ وَتَسْتَنْدُ عَلَى مُحَاوَلَةِ (الْإِنْسَانِ) اخْتِيَارَ مَاذَا يَجِبُ عَمَلُهُ؟ وَكَيْفَ يَقُومُ بِهِ؟ وَمَا هُوَ الْوَقْتُ الْمُنَاسِبُ لِأَنْجَازِهِ؟ وَمَا هُوَ الْمَكَانُ

المُنَاسِبُ؟

وَأَيْضًا تَقْوِيمُ الْعَمَلِ وَمَرَاحَتُهُ .. تَقْوِيمُ الْعَمَلِ الْفِعْلِيِّ بِمَا هُوَ مُخَطَّطٌ لَهُ، بِالْإِضَافَةِ إِلَى عَمَلِيَّاتِ التَّصْحِيحِ الْمُسْتَمِرَّةِ.

إِنَّ كُلَّ مَا يَقُومُ بِهِ (الْإِنْسَانُ) - فِي الْحَقِيقَةِ - لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُوجَدَ أَوْ يَسْتَمِرَّ دُونَ (اتِّخَاذِ الْقَرَارَاتِ).

وَبَعْضُ (الْقَرَارَاتِ) يَحْتَاجُ - أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ - إِلَى: الدَّقَّةِ وَالذِّكَاةِ وَحُسْنِ التَّصَرُّفِ وَالتَّرْوِيِّ. وَقَدْ يَحْتَاجُ الْأَمْرُ إِلَى: الدَّرَاسَةِ وَالْمَشُورَةِ وَمَعْرِفَةِ الْأَرَآءِ وَالْأَفْكَارِ الْمُخْتَلِفَةِ.

وَعَمَلِيَّةُ (اتِّخَاذِ الْقَرَارَاتِ) هِيَ الْإِخْتِيَارُ الْوَاعِي الْقَائِمُ عَلَى بَعْضِ الْمَعَايِيرِ وَالْأُسُسِ لِبَدِيلٍ وَاحِدٍ مِنْ بَيْنِ بَدِيلَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِأُمُورٍ يَرَى أَنَّهَا تَسْتَحِقُّ الْقِيَامَ بِهَا. [وَهَذَا هُوَ تَعْرِيفُ هَذِهِ (الْعَمَلِيَّةِ)]

وَهَذَا يَعْنِي أَنْ يَتَّسِمَ (الْقَرَارُ) بِالْوَعِيِّ وَالِدَّرَاسَةِ وَالْإِقْتِنَاعِ، لَا بِالْهَوَى أَوْ أَنْ يَكُونَ عَلَى ضَوْءِ أَنْفِعَالٍ طَارِيٍّ أَوْ بِطَرِيقَةٍ عَفْوِيَّةٍ.

مَعَ النَّبْهِ إِلَى أَنَّ (الْقَرَارَ) يَكُونُ بِإِخْتِيَارٍ بَيْنَ (بَدَائِلِ)، فَإِنْ لَمْ تُوجَدِ (بَدَائِلُ) فَلَا إِخْتِيَارَ فِي الْحَقِيقَةِ.

مَعَ الْعِلْمِ بَأَنَّ عَدَمَ اتِّخَاذِ قَرَارٍ هُوَ فِي ذَاتِهِ (قَرَارٌ)، وَلِذَلِكَ يُمَدَحُ (الْإِنْسَانُ) أَوْ يُذَمُّ أَحْيَانًا لِعَدَمِ اتِّخَاذِهِ (قَرَارًا)،



وَالْتَّخْطِيطُ (Planning) - فِي الْحَقِيقَةِ - هُوَ طَرِيقُ النَّجَاحِ لِأَيِّ عَمَلٍ تُمَارِسُهُ .. هُوَ الْمُسْتَقْبَلُ .. هُوَ الَّذِي يُحَدِّدُ مَسَارَكَ.

وَالْتَّخْطِيطُ) يَعْنِي: "تَحْدِيدُ الْأَهْدَافِ الْوَاجِبِ إِنْجَازِهَا بَعْدَ الْاِخْتِيَارِ مِنْ بَيْنِ الْبَدَائِلِ، وَتَحْدِيدِ الطَّرِيقَةِ أَوْ الطَّرِيقِ الْوَاجِبِ اتِّبَاعِهَا لِإِنْجَازِ هَذِهِ الْأَهْدَافِ".

فَالْتَّخْطِيطُ) هُوَ: "الْمَوَاعِمَةُ بَيْنَ مَا هُوَ مَطْلُوبٌ، وَمَا هُوَ مُتَاحٌ عَمَلِيًّا، فَهُوَ يَعْنِي تَعَبَةً وَتَنْسِيقَ وَتَوْجِيهَ الْمَوَارِدِ وَالطَّاقَاتِ وَالْقُوَى؛ لِتَحْقِيقِ (أَهْدَافٍ) مُعَيَّنَةٍ، وَيَتِمُّ تَحْقِيقُ هَذِهِ (الْأَهْدَافِ) فِي فَتْرَةٍ زَمَنِيَّةٍ مُعَيَّنَةٍ تُحَدِّدُهَا (الخُطَّةُ)، وَتَعْمَلُ كُلُّ خُطَّةٍ عَلَى تَحْقِيقِ (الْأَهْدَافِ) بِأَقْلٍ [جَهْدٍ] وَتَكْلِفَةٍ مُمَكِّنَةٍ عَمَلِيًّا".

فَهُوَ نَقْطَةُ الْبِدَايَةِ لِلْقِيَامِ بِأَيِّ نَشَاطٍ؛ إِذْ أَنَّهُ الَّذِي يُحَدِّدُ الْإِطَارَ الَّذِي يُبَيِّنُ نَوْعَ الْعَمَلِ الَّذِي يَنْبَغِي الْقِيَامُ بِهِ، وَالْأُسْلُوبَ الَّذِي يَجْدُرُ اتِّبَاعُهُ لِإِنْجَازِ هَذَا الْعَمَلِ وَالْوَقْتَ الَّذِي يَسْتَعْرِقُهُ.

وَالصَّوَابُ أَنْ يَكُونَ (التَّخْطِيطُ) مُحْكَمًا وَمُتَكَامِلًا خِلَالَ الْأَجَلَيْنِ الطَّوِيلِ وَالْقَصِيرِ حَتَّى يَكُونَ عَلَى (الْإِنْسَانِ) أَنْ يَزِيدَ قُدْرَتَهُ عَلَى مُوَاجَهَةِ التَّعْيِيرِ وَمَخَاطِرِهِ، مُقَدَّرًا نَوَاحِي النِّشَاطِ الْمَطْلُوبِ وَأَيْضًا الْعَقَبَاتِ.

وَالْتَّخْطِيطُ) هُوَ الَّذِي يُحَدِّدُ الْإِطَارَ لِلْعَمَلِ الَّذِي يَنْبَغِي الْقِيَامُ بِهِ، وَالْأُسْلُوبَ الَّذِي اتِّبَاعُهُ، وَالْوَقْتَ الْمَتَوَقَّعَ لِلْوُصُولِ إِلَى هَدَفٍ مُعَيَّنٍ؛ عَنِ

طَرِيقِ خُطُواتٍ مُحدَدَةٍ يَتِمُّ عَلَيْهَا الْإِنْجَازُ الْمُسْتَقْبَلِيُّ.
فَلأَبْدٌ فِي (التَّخْطِيطِ) أَنْ تَكُونَ لَهُ نَظْرَةٌ إِلَى: الْمَاضِي، وَالْحَاضِرِ،
وَالْمُسْتَقْبَلِ.

فَعَلَى (الْإِنْسَانِ) مُحَاوَلَةُ التَّوَقُّعِ بِ(الْأَحْدَاثِ الْمُسْتَقْبَلِيَّةِ) الَّتِي تَتَعَلَّقُ
بِالْأَمْرِ، مَعَ تَقْيِيمِ الْأَدَاءِ وَالنَّاتِجِ.

وَتَشْمَلُ وَظِيفَةُ (التَّخْطِيطِ) عَلَى مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْأَنْشِطَةِ الْفَرَعِيَّةِ فِي
مُقَدِّمَتِهَا [أَوْ: أَهَمُّ (خُطُواتِ التَّخْطِيطِ Planning steps)؛ هِيَ]:

أ. تَحْدِيدِ الْأَهْدَافِ Objectives. أَوْ: وَضْعِ الْأَهْدَافِ Sstablishing
Goals، وَهُوَ الْإِجَابَةُ عَلَى سُؤَالٍ: مَاذَا تُرِيدُ؟ وَهُوَ مِنَ الْأُمُورِ الصَّرُورِيَّةِ
الَّتِي تُحَدِّدُ (هُويَّةَ الْإِنْسَانِ)، كَمَا تُحَدِّدُ مَا يَجِبُ أَنْ يَسْعَى لِتَنْفِيزِهِ. وَلَا بَدَّ
أَنْ تُصَبَّ كَافَّةَ الْجُهُودِ فِي ذَلِكَ؛ لِأَنَّهَا (طُرُقُهُ Methods) لِتَنْفِيزِ هَذِهِ
الْأَهْدَافِ.

و(تَحْدِيدِ الْأَهْدَافِ) يَجِبُ أَنْ يَكُونَ بِطَرِيقَةٍ دَقِيقَةٍ وَوَاضِحَةٍ؛ كَالآتِي:
مَا الَّذِي تُرِيدُهُ؟ (What)، وَمَا الْكَيْفِيَّةُ الَّتِي يُمَكِّنُ بِهَا تَنْفِيزَ ذَلِكَ؟
(How)، وَمَا الْوَقْتُ الْلازِمُ لِذَلِكَ؟ (When)، وَأَيْنَ يُمَكِّنُ تَنْفِيزَ ذَلِكَ؟
(Where)، وَمَنْ الَّذِي يُمَكِّنُ أَنْ يُسَاعِدَكَ فِي ذَلِكَ؟ (Who).

ب. إِعْدَادِ الْاسْتِرَاطِيَجِيَّاتِ Strategies.

ج. تَحْدِيدِ الْإِجْرَاءَاتِ.

د. إَعْدَادُ الْمَوَازِنَاتِ التَّخْطِيبِيَّةِ.



وَيَنْقَسِمُ (التَّخْطِيبُ) إِلَى (تَخْطِيبِ اسْتِرَاطِيَجِيٍّ) يَقُومُ بِهِ (تَحْدِيدُ أَهْدَافٍ) تُسَمَّى (الْعَايَاتُ) أَوْ (أَهْدَافُ عَلِيَّا) بَعِيدَةً الْمَدَى أَوْ (أَعْلَى مُسْتَوِيَّاتِ الْأَهْدَافِ)، وَهُوَ (تَخْطِيبُ عَالِي الْمَعَايِرِ وَالْمُسْتَوَى)؛ يَقُومُ بِتَحْدِيدِ (أَهْدَافٍ تَخْطِيبِيَّةٍ) (أَهْدَافٍ مَرَحَلِيَّةٍ) الَّتِي يُؤَدِّي تَحْقِيقَهَا إِلَى أَحْدَاثٍ تَعْبِيرَاتٍ حَادَّةٍ هَامَّةٍ؛ وَهِيَ: أَهْدَافٌ مُبَاشِرَةٌ أَوْ أَهْدَافٌ صُعْرَى أَوْ أَهْدَافٌ قَرِيبَةٌ أَوْ أَهْدَافٌ خَاصَّةٌ. وَمُحَاوَلَةٌ الْوُصُولِ إِلَيْهَا عَنْ طَرِيقِ الْاسْتِخْدَامِ الْأَمْثَلِ لِكَافَةِ الْإِمْكَانَاتِ وَالْوَسَائِلِ الْمَتَّاحَةِ وَالْمُتَوَفَّرَةِ.



وَتَخْتَلِفُ (الْأَهْدَافُ) مِنْ مَوْقِفٍ لِآخَرَ، وَمِنْ (اسْتِرَاطِيَجِيَّةٍ) لِأُخْرَى؛ وَذَلِكَ تَبَعًا لِتَبَايُنِ طَبِيعَةِ وَأَهْمِيَّةِ ذَلِكَ الْهَدَفِ وَتَبَعًا لِلْإِمْكَانَاتِ وَالْقُدْرَاتِ الْمَتَّاحَةِ. وَقَدْ يَكُونُ (الْهَدَفُ) صَغِيرًا مَحْدُودًا أَوْ كَبِيرًا؛ غَيْرَ أَنَّ جَمِيعَ (الْأَهْدَافِ) تَشْتَرِكُ فِي كَوْنِهَا جَمِيعًا (الْهَدَفَ النَّهَائِيَّ) الَّذِي عُيِّنَ وَحَدَّدَ سَلْفًا مِنْ قَبْلِ.

وَقَدْ يَكُونُ اخْتِيَارُ هَذِهِ (الْاسْتِرَاطِيَجِيَّةِ) أَوْ تِلْكَ صَائِبًا فِي زَمَانٍ أَوْ مَكَانٍ مُعَيَّنِينَ وَغَيْرَ صَائِبٍ فِي زَمَانٍ أَوْ مَكَانٍ آخَرَ، فَ(الْاسْتِرَاطِيَجِيَّةِ) تَتَأَثَّرُ بِعَوَامِلِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ وَبِعَقْلِيَّةِ الْمُخْطَطِّينَ وَظُرُوفِ الْعَصْرِ وَتَقْنِيَّتِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْعَوَامِلِ.

وَلَا بَدَّ مِنْ إِعْدَادِ (الْمُحْتَوَى) الْمَلَائِمِ لِتَحْقِيقِهِ، وَتُضْمُّهُ خِبْرَاتٍ وَحَقَائِقَ وَقِيمًا؛ تَعْمَلُ مُجْتَمِعَةً عَلَى بِنَاءِ الشَّخْصِيَّةِ الْمَطْلُوبَةِ، وَالَّتِي تُمَكِّنُهَا مِنْ الْعَمَلِ عَلَى إِشْبَاعِ حَاجَاتِهَا، وَالْوُصُولِ إِلَى الْغَايَةِ الْمَرْجُوتَةِ [وَبِالنِّسْبَةِ لِلْمُؤْمِنِ: غَايَتُهُ الْوُصُولُ إِلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ؛ بِالْعَمَلِ بِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ].

وَكَانَ لِأَبَدٍ مِنْ مُحَاوَلَةٍ تَوْلِيدِ الْأَفْكَارِ الْجَدِيدَةِ وَالْمُتَنَامِيَةِ [بَعْدَ إِخْضَاعِهَا لِلتَّحْلِيلِ وَالْمُحَاكَمَةِ] الَّتِي تُوهِّلُ لِلْعَوْصِ فِي أَعْمَاقِ الْقَضَايَا الْمَطْرُوحَةِ، وَإِيجَادِ حُلُولٍ مُلَائِمَةٍ لَهَا؛ حَتَّى يُمَكِّنُ الْوُصُولُ إِلَى الْهَدَفِ.



وَلَا بَدَّ أَنْ تَضَعَ فِي اعْتِبَارَاتِكَ:

١. حَاوِلْ - قَدَّرَ الْمُسْتَطَاعَ - الِاسْتِفَادَةَ مِنْ عُقُولِ الْآخَرِينَ؛ فَقَدِ اهْتَمَّ الْإِسْلَامُ بِالشُّورَى، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا لَّالْقَلْبَ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آلِ عِمْرَانَ / ١٥٩)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنِهِمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (الشُّورَى / ٣٨).

٢. الْقَرَارَاتُ السَّرِيعَةُ رَبَّمَا تَفْتَقِدُ إِلَى الدَّقَّةِ، وَتَفْتَقِرُ إِلَى الْمَعْلُومَاتِ

الكَافِيَةِ، فَحَاوِلْ أَنْ تَتَرَوَى فِي اتِّخَاذِ الْقَرَارَاتِ مَا اسْتَطَعْتَ.

٣. لَا يَجِبُ أَنْ تَلْتَرِمَ التِّزَامًا جَامِدًا وَتَابِتًا يَمَا سَبَقَ وَاتَّخَذْتَهُ مِنْ قَرَارَاتٍ دُونَ إِحْدَاثِ تَغْيِيرٍ أَوْ تَعْدِيلٍ، فَلَا بَدَّ مِنْ إِعَادَةِ النَّظَرِ وَالتَّقْيِيمِ تَبَعًا لِلْمُسْتَجِدَّاتِ وَالظُّرُوفِ، وَالْمَثَلُ يَقُولُ: "لَا ضَرُورَةَ لِاسْتِخْدَامِ الشَّمْسِيَّةِ بَعْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ"، فَالْقَرَارَاتُ لَيْسَتْ نِهَائِيَّةً، وَلَا بَدَّ مِنَ التَّكْيِيفِ مَعَ الْمُتَغَيِّرَاتِ وَالْمُسْتَجِدَّاتِ. ... وَتَرَاجَعْتُ عَنِ الْقَرَارِ لَا يَدُلُّ عَلَى ضَعْفِكَ؛ بَلْ يَدُلُّ عَلَى عَقْلِكَ!

٤. بَعْضُهُمْ يَظُنُّ أَنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَنْفَرِدَ بِاتِّخَاذِ الْقَرَارِ، وَهَذَا لَيْسَ بِصَحِيحٍ، فَكَثِيرٌ مِنَ الْقَرَارَاتِ يَحْتَاجُ إِلَى الاسْتِفَادَةِ مِنْ عُقُولِ وَجْهُودِ الْآخَرِينَ [فَمَثَلًا: عَقْلُ اثْنَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَقْلِ وَاحِدٍ؛ وَهَكَذَا].

٥. الْمُسْكَلَاتُ الْيَوْمِيَّةُ مَهْمَا كَثُرَتْ لَا يَجِبُ أَنْ تُلْهِكَ عَنِ الْوُصُولِ إِلَى هَدَفِكَ.

وَالْأَمْرُ يَحْتَاجُ -أَحْيَانًا- إِلَى اتِّخَاذِ قَرَارَاتٍ غَيْرِ تَقْلِيدِيَّةٍ وَلَا رُوتِينِيَّةٍ، بَلْ رَبَّمَا يَحْتَاجُ الْأَمْرُ لِنَوْعٍ مِنَ الْإِبْتِكَارِ وَالتَّجْدِيدِ وَالمُبَادَاةِ؛ حَتَّى لَوْ أَدَّى لِبَعْضِ الْمُسْكَلَاتِ الْمُوقْتِنَةِ الَّتِي تَحْتَاجُ إِلَى إِيجَادِ حُلُولٍ لَهَا وَاتِّخَاذِ قَرَارَاتٍ بِشَأْنِهَا.

قَدْ تَكُونُ الْإِبْتِكَارَاتُ وَالتَّجْدِيدُ فِي صُورَةٍ تَعْدِيلٍ أَوْ إِضَافَةٍ أَوْ تَغْيِيرٍ طَافِيْفٍ أَوْ حَتَّى كَبِيرٍ، وَلَكِنْ قَدْ يَحْتَاجُ الْأَمْرُ إِلَى تَفْكِيرٍ غَيْرِ تَقْلِيدِيٍّ لِإِيجَادِ

حُلُولٍ غَيْرِ تَقْلِيدِيَّةٍ.



وَبِالسَّبَبِ لِأَيِّ شَخْصٍ فِي حَيَاتِهِ؛ لِأَبَدٍ مِنْ: (التَّخْطِيطُ) - (التَّنْظِيمُ) - (التَّوْجِيهُ) - تَنْمِيَةُ الْكِفَايَاتِ - الرِّقَابَةُ.

← تَحْدِيدُ الْأَهْدَافِ وَالْعَايَاتِ ← الْأَهْدَافُ التَّنْظِيمِيَّةُ ← تَحْدِيدُ الْمَصَادِرِ وَمَنْ يُمَكِّنُ الْاسْتِعَانَةَ بِهِمْ [التَّوْظِيفُ] ← الْمُدْخَلَاتُ (دَوَافِعُ - بَيِّنَاتُ - مُشْكَلَةٌ - إِمْكَانِيَّاتُ - مَوَارِدُ - عَوَامِلُ بَيْئِيَّةٌ [وَمَعْرِفَةُ الْأَوْضَاعِ الْحَالِيَّةِ] - ...) ← ...

وَالْقَرَارُ هُوَ الْاِخْتِيَارُ الْمُدْرِكُ الْوَاعِي بَيْنَ عَدَدٍ مِنَ الْبَدَائِلِ الْمُحْتَمَلَةِ لِتَحْقِيقِ هَدَفٍ أَهْدَافٍ مُحَدَّدَةٍ مَصْحُوبًا بِتَحْدِيدِ إِجْرَاءَاتِ التَّنْفِيزِ.

أَوْ هُوَ: عَمَلِيَّةُ إِنْتَاجِ مَعْلُومَاتٍ تَلْبِيَّةٍ لِإِشَارَاتٍ أَوْ بَيِّنَاتٍ أَوْ مَعْلُومَاتٍ حَوْلَ آخَرَ نَتِيجَةً لِرَدِّ فِعْلٍ مُعَيَّنٍ.

فَالْقَرَارُ يَشْتَمِلُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَجْزَاءٍ رَئِيسِيَّةٍ؛ هِيَ:

أ. الْمُدْخَلَاتُ.

ب. الْأَوْضَاعُ الْحَالِيَّةُ.

ج. الْفِعْلُ أَوْ اخْتِيَارُ الْبَدِيلِ الْأَمْثَلِ.



فَالْعَنَاصِرُ الْأَسَاسِيَّةُ ثَلَاثَةٌ؛ هِيَ:

أَهْدَافٌ - مُدْخَلَاتٌ - تَحْقِيقُ الْهَدَفِ.

التَّخْطِيطُ

اتِّخَاذُ الْقَرَارَاتِ

دِرَاسَةُ الْبَدَائِلِ

تَحْدِيدُ الْهَدَفِ

= (خُطَّةٌ) ←



التَّنْظِيمُ

التَّسْيِيقُ

تَحْدِيدُ الْمَسْئُورِيَّاتِ

حَشْدُ الْمَوَارِدِ

= (هَيْكَلٌ تَنْظِيمِيٌّ) ←



التَّوْظِيفُ

تَحْدِيدُ مَنْ يُمَكِّنُ الْأَسْتِعَانَةَ بِهِمْ

تَحْدِيدُ الْمَصَادِرِ

= (عُنْصُرٌ بَشَرِيٌّ) ←



التَّوْجِيهُ

التَّحْضِيرُ

التَّدْرِبُ

= (أَدَاءٌ فَعَّالٌ) ←



التَّقْيِيمُ

بَعْدَ الْأَدَاءِ

أَثْنَاءَ الْأَدَاءِ

قَبْلَ الْأَدَاءِ

= (أَعْمَالٌ تَصْحِيحِيَّةٌ) ←

فَ: (خُطَّة) + (هَيْكَلٌ تَنْظِيمِيٌّ) + (عُنْصُرٌ بَشْرِيٌّ) + (أَدَاءٌ فَعَالٌ) + (أَعْمَالٌ
نَّصِيحِيَّةٌ) = تَحْقِيقُ الْهَدَفِ



وَلَكِنْ .. مَا هِيَ صِفَاتُ "الْهَدَفِ"؟

أَكْتَفِي بِبَعْضِ الصِّفَاتِ؛ وَهِيَ:

❖ أَوَّلًا: أَنْ يَكُونَ وَاضِحًا لَا غَبْشَ فِيهِ.

❖ ثَانِيًا: أَنْ يَكُونَ مُحَدَّدًا وَدَقِيقًا فِي الْبِدَايَةِ.

وَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ سُلُوكِ الْمَنْهَجِ الْعِلْمِيِّ فِي تَحْدِيدِ الْأَهْدَافِ، فَكَثِيرٌ
مِنَ النَّاسِ يَفْشَلُونَ فِي جَوَانِبَ كَثِيرَةٍ مِنْ حَيَاتِهِمْ بِسَبَبِ عَدَمِ التَّحْدِيدِ
الدَّقِيقِ لِأَهْدَافِهِمْ .. إِنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ -عَلَى وَجْهِ الدَّقَّةِ- مَاذَا يُرِيدُونَ؟ مَعَ
أَنَّهُمْ يَتَوَهَّمُونَ بِأَنَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا!!!

فَهَنَّاكَ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ تَحْدِيدَ هَدَفِهِ بِوُضُوحٍ، وَيَتَحَرَّكُ كَثِيرًا دُونَ
تَحْقِيقِ أَيِّ خُطْوَةٍ لِلْأَمَامِ.

فَعَمَلِيَّةُ (تَحْدِيدِ الْأَهْدَافِ) لَيْسَتْ عَمَلِيَّةً سَهْلَةً وَهَيِّئَةً؛ بَلْ صَعْبَةٌ وَشَاقَّةٌ
وَخَطِيرَةٌ .. لِذَا يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَتَعَرَفَ عَلَى آيَةِ وَتَقْنِيَةِ تَحْدِيدِ الْأَهْدَافِ .

وَمِنْ أَهَمِّ أَسْبَابِ ضَبَائِيَّةِ أَهْدَافِنَا وَعَدَمِ وُضُوحِهَا: عَدَمُ مَعْرِفَتِنَا كَيْفَ
نُحَدِّدُ أَهْدَافِنَا؟ وَعَدَمُ بَذْلِنَا جَهْدًا كَافِيًا فِي رَسْمِهَا وَتَحْدِيدِهَا. مِمَّا يُؤَدِّي
إِلَى انْعِدَامِ إِمْكَانِيَّةِ قِيَاسِهَا، بَلْ وَأَيْضًا إِلَى إِدْرَاكِهَا بِطَرِيقَةٍ مُشَوَّشَةٍ، وَلَا بَدَّ

مِنْ تَوْجِيهِ طَاقَتِكَ الْجِسْمِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ لِتَحْقِيقِ هَذَا الْهَدَفِ بَلْ وَالْوُصُولِ
إِلَى دَرَجَةِ التَّفُوقِ وَالتَّمْيِيزِ.

وَلِذَا يَحْتَاجُ الْوَاحِدُ مِمَّا أَنْ يُحَدِّدَ هَدَفًا وَاحِدًا وَلَيْسَ مَجْمُوعَةً
أَهْدَافٍ يَحْتَارُ بَيْنَهَا؛ وَكُلَّمَا اتَّجَهَ لِتَحْقِيقِ أَحَدِهَا سُرْعَانَ مَا يُعَاوِدُهُ الْحَيْنُ
لِلْأَهْدَافِ الْأُخْرَى. ..

فَحَاوِلْ أَنْ تُنْجِزَ شَيْئًا وَلَوْ قَلِيلًا .. وَلَوْ صَغِيرًا!

تَرَى مَنْ يَقْبَلُ عَلَى كِتَابٍ فَيَقْرَأُ مِنْهُ صَفَحَاتٍ وَيَتْرُكُهُ لِآخِرٍ فَأَخْرَ دُونَ
أَنْ يُتِمَّ كِتَابًا وَلَا عِلْمًا ... وَهَكَذَا!!!

وَمَعَ ذَلِكَ؛ فَيُمْكِنُ أَنْ يَصِلَ الْإِنْسَانُ لِأَهْدَافِ أُخْرَى.. رَبَّمَا لَمْ تَكُنْ
فِي حُسْبَانِهِ فِي الْبِدَايَةِ.

وَلِذَا؛ فَعَلَيْهِ أَنْ يُرَاجِعَ نَفْسَهُ فِي كُلِّ فِتْرَةٍ، فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى تَغْيِيرِ قَرَارَاتِهِ
وَأَهْدَافِهِ. وَيُمْكِنُ أَنْ يُحَاوِلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى شَيْءٍ فَيَصِلُ إِلَى شَيْءٍ آخَرَ،
مَثَلًا (كُولُومْبُس) أَرَادَ الْوُصُولَ إِلَى (الهِندِ) فِي آسِيَا مِنْ طَرِيقِ آخَرَ؛
فَاكْتَشَفَ (أَمْرِيكََا). وَكَمْ مِنْ عَالِمٍ أَجْرَى أَبْحَاثًا -مَثَلًا- لِلْوُصُولِ إِلَى دَوَاءٍ
مُعَيَّنٍ؛ فَوَصَلَ إِلَى غَيْرِهِ.

فَفِي الْحَقِيقَةِ؛ إِنَّ (الْأَهْدَافَ) وَ(الْاِخْتِيَارَاتِ) لَيْسَتْ شَيْئًا ثَابِتًا مُحَدَّدًا،
فَكَثِيرًا مَا يُعَيَّرُ الْإِنْسَانُ أَهْدَافَهُ فِي الْحَبَاةِ.

فَلأَبْدَ مِنْ: " (المُرُونَةُ) فِي المُخَطَّطِ وَالتَّشْكِيلِ بَحِثٌ يَتَلَأَمَانِ مَعَ (الظُّرُوفِ)".

❖ ثَالِثًا: تَنَاسُقُ الأَهْدَافِ وَتَكَامُلُهَا وَعَدَمُ تَعَارُضِهَا.

❖ رَابِعًا: وَاقِعِيَّةُ الهَدَفِ وَأَنَّ لَا يَكُونُ مُسْتَحِيلًا؛ وَذَلِكَ بِإِمْكَانِيَّةِ تَحْقِيقِهِ فِي ظِلِّ ظُرُوفِكَ الرَّاهِنَةِ وَإِمْكَانَاتِكَ المَتَاحَةِ، وَمِنْ ثَمَّ؛ فَعَلَيْكَ أَنْ تُسْتَبْعِدَ الأَهْدَافَ الَّتِي يَتَعَدَّرُ عَلَيْكَ تَحْقِيقُهَا.

نَعَمْ؛ مِنْ المُمْكِنِ أَنْ يَكُونَ "الْهَدَفُ" (صَعْبًا) أَوْ (شَاقًّا)، وَلَكِنَّهُ لَا يَكُونُ (مُسْتَحِيلًا). حَاوَلَ (عَبَّاسُ بْنُ فِرْنَاسٍ) أَنْ يَطِيرَ بِجَنَاحَيْهِ وَلَمْ يَنْجَحْ، وَحَاوَلَ إِخْوَانُهُ (رَايَتُ) أَنْ يَطِيرَ بِطَائِرَةٍ. وَهَكَذَا ...

وَهَذِهِ الوَاقِعِيَّةُ يَجِبُ أَنْ تُتَحَقَّقَ عَلَى مُسْتَوِيَيْنِ؛ هُمَا:

أ- عَلَى مُسْتَوَى كُلِّ هَدَفٍ عَلَى حِدَةٍ، أَيَّ أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مُمَكِّنَ التَّحَقُّقِ.

ب- عَلَى مُسْتَوَى الأَهْدَافِ مُجْتَمِعَةٍ، أَيَّ أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ كُلُّهَا مُمَكِّنَةً التَّحَقُّقِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ.

❖ خَامِسًا: صِيَاغَةُ الأَهْدَافِ بِشَكْلِ قَابِلٍ لِلْقِيَاسِ؛ مِنْ أَجْلِ تَحْدِيدِ نِسْبَةِ النَّجَاحِ فِي تَحْقِيقِهَا، وَذَلِكَ بِرَبْطِهَا بِأَمْرٍ أَوْ أَكْثَرَ مِنَ الأُمُورِ التَّالِيَةِ:

أ- الزَّمَنُ. ب- الكِمِّيَّةُ. ج- التَّكَلْفَةُ.

❖ سَادِسًا: تَرْتِيبُ الْأَهْدَافِ بِحَسَبِ أَهْمِيَّتِهَا.

❖ سَابِعًا: أَنْ تَكُونَ الْأَهْدَافُ مِنْ نَوْعٍ وَاحِدٍ؛ فَإِمَّا أَنْ تَكُونَ
اِسْتِرَاطِيجِيَّةً (رَيْسَةً) أَوْ تَكْتِيكِيَّةً (فَرْعِيَّةً)، فَالنَّوْعُ الْأَوَّلُ يَتَضَمَّنُ الثَّانِي، مَعَ
التَّنْبُّهِ إِلَى عَدَمِ الْخَلْطِ بَيْنَهُمَا.

وَبَدْهِيٌّ أَنْ الْأَهْدَافَ الَّتِي تُحَدِّدُهَا يَجِبُ أَنْ تَكُونَ فِي دَائِرَةِ
الْحَالَلِ الْمَشْرُوعِ الْمُبَاحِ.



- حَاوِلْ أَنْ تُنْجِزَ شَيْئًا وَتَنْتَهِيَ مِنْهُ بَعْدَ تَحْدِيدِ الْهَدَفِ بِدِقَّةٍ وَعِنَايَةٍ؛
فَلَا دَاعِيَ لِتَشْتِيتِ الذَّهْنَ وَالْجَهْدَ ..

- حَاوِلْ أَنْ تَخْتَبِرَ قُدْرَاتِكَ وَأَنْ تَكْتَشِفَهَا وَمَهَارَاتِكَ الْحَقِيقِيَّةَ ..
وَحَاوِلْ تَنْمِيَّتَهَا .. وَحَاوِلْ أَنْ تَضطلعَ بِمَهَامٍ جَدِيدَةٍ فِي حَيَاتِكَ؛ مَعَ تَرْكِ
مَا لَا يَنْتَاسِبُ مَعَ قُدْرَاتِكَ وَمَهَارَاتِكَ [وَتَذَكَّرْ أَنْ يَكُونَ التَّرْكَ قَبْلَ لَا بَعْدَ]
فَرَبَّمَا يُودِّي ذَلِكَ إِلَى تَطْوِيرِ حَيَاتِكَ!!!

- إِنَّ اسْتِعْلَالَ الْفِكْرِ وَالْوَقْتِ فِي التَّفَكِيرِ فِي تَطْوِيرِ الْقَوَاعِدِ
وَالْأَسَالِبِ وَالْإِجْرَاءَاتِ أَمْرٌ جَيِّدٌ وَمِثْمَرٌ، وَيُمْكِنُ الْوُصُولُ إِلَى أَفْضَلِ
النتائج.

- إِنَّ الْمَعَامَرَةَ وَالْمُخَاطَرَةَ مِنْ طَبِيعَةِ الْحَيَاةِ وَلَوْلَاهَا مَا تَقَدَّمَتْ
الْحَيَاةُ .. وَلَكِنْ؛ إِنَّهَا الْمُخَاطَرَةُ الْمَحْسُوبَةُ غَيْرَ الْمُتَهَوَّرَةِ.



هَلْ أَنْتَ رَاضٍ عَنِ حَيَاتِكَ؟

إِنَّا هُنَا أَمَامَ اثِّجَاهَاتٍ مُتَّفَاوِتَةٍ ...

تَبْدَأُ بِهَذَا الَّذِي يَقْبَلُ الْأُمُورَ عَلَى عِلَّتِهَا وَيُحَاوِلُ أَنْ يَسِيرَ وَسَطَ
الظُّرُوفِ الْمُحِيطَةِ بِهِ.

وَهُنَاكَ مَنْ يَشْعُرُ بِعَدَمِ الرِّضَا وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَقَبَّلَ أَوْ يَتَأَقَّلَمَ مَعَ
الْأَوْضَاعِ الرَّاهِنَةِ دُونَ إِحْدَاثِ تَغْيِيرٍ بِهَا؛ أَيَّا كَانَ هَذَا التَّغْيِيرِ.

وَبَيْنَ هَذَيْنِ التَّقْيِصَيْنِ تَقَعُ اثِّجَاهَاتٌ مُخْتَلِفَةٌ تَقْتَرِبُ بِنِسْبِ مُخْتَلِفَةٍ
لِهَذَا أَوْ لِذَاكَ.

وَعَلَى (الْإِنْسَانِ) أَنْ يَنْتَفِعَ بِكُلِّ مَا حَوْلَهُ وَيَسْتَفِيدَ مِنْ كُلِّ مَا يُمَكِّنُ
الاسْتِفَادَةَ بِهِ قَدْرَ الْاسْتِطَاعَةِ، وَيَنْظُرُ إِلَى الْجَوَانِبِ الْإِجَابِيَّةِ وَيُحَاوِلُ
تَنْمِيَّتَهَا .. أَمَّا الْجَوَانِبُ السَّلْبِيَّةُ فَعَلَيْهِ أَنْ يُحَاوِلَ إِزَالَتَهَا أَوْ تَعْدِيلَهَا إِلَى
الْأَفْضَلِ؛ بَلْ يُعِيدُ التَّفَكِيرَ فِيهَا فَلَعَلَّهَا لَيْسَتْ بِهَذَا السُّوءِ الَّذِي يَتَصَوَّرُهُ! ..
وَيَسْأَلُ نَفْسَهُ: كَيْفَ يَسْتَفِيدُ مِنْهَا؟ بَلْ هَلْ يُمَكِّنُ تَحْوِيلَهَا إِلَى جَوَانِبِ
إِجَابِيَّةٍ؟

فَالْإِنْسَانُ -مَثَلًا- قَدْ يُعَاقُ لِمُدَّةٍ طَوِيلَةٍ جَدًّا فِي إِشَارَةِ مُرُورٍ؛ فَهَلْ
يُمْكِنُ أَنْ يَنْتَفِعَ بِهَذَا الْأَمْرِ الْوَاقِعِ طَالَمَا لَا يَسْتَطِيعُ تَغْيِيرَهُ؟ .. إِنَّهُ يَسْتَطِيعُ
أَنْ يُحَاوِلَ الْاسْتِرْخَاءَ .. وَالتَّفَكِيرَ فِي حَلِّ بَعْضِ الْمَشْكَلاتِ .. أَوْ تَرْتِيبَ

أَفْكَارُهُ وَخَطَطُهُ .. أَوْ تَذَكُّرَ الْجَوَانِبِ الْإِيجَابِيَّةِ فِي حَيَاتِهِ؛ لِبَثِ الْأَمَلِ أَوْ
التَّفَاؤُلِ ...

فَيَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَلَّا يَنْظُرَ لِلْجَوَانِبِ السَّلْبِيَّةِ عَلَى أَنَّهَا كُلُّهَا شَرٌّ،
فَالنَّظَرَةُ السَّلْبِيَّةُ تَعُوقُ التَّفَكِيرَ السَّلِيمَ الَّذِي يُسَهِّلُ الْوُصُولَ لِلْحَلِّ
الْمُنَاسِبِ بِإِذْنِ اللَّهِ؛ وَفِي هَذَا يَقُولُ الشَّافِعِيُّ:
أَمَا تَرَى الْبَحْرَ تَعْلُو فَوْقَهُ جَيْفٌ وَتَسْتَقِرُّ بِأَقْصَى قَاعِهِ الدَّرُّ



- وَتَذَكَّرْ - يَا عَبْدَ اللَّهِ! [وَكُلْنَا عِبِيدَ اللَّهِ] - أَنْتَ عَبْدٌ لِلَّهِ .. وَأَنْتَ سَتُسْأَلُ
وَحَدَّكَ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ (مَبْدَأُ الْمَسْأَلَةِ الدَّائِيَّةِ)؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا
كَسَبَ رَهِينٌ﴾ (الطُّور / ٢١)، ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (الْمُدَّثِّرُ / ٣٨). وَتَبَّهُ لِمَبْدَأِ
الْجَزَاءِ) ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ*
(الرِّزْقَةُ / ٧، ٨)



وَأَوَّلُ خُطْوَةٍ فِي الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ:

- أَنْ تَكْتَشِفَ ذَاتَكَ [رُؤْيَةَ الذَّاتِ] رُؤْيَةً تَحْلِيلِيَّةً قَوِيْمَةً مَوْضُوعِيَّةً؛
تُشَخِّصُ أَمْرَاضَهَا وَتَضَعُ مُعَالَجَاتِهَا، بَعْدَ أَنْ تَتَعَرَّفَ عَلَى نِقَاطِ قُوَّتِهَا وَمَكَامِنِ
ضَعْفِهَا .. وَأَنْ تَمْلِكَ التِّزَامًا جَوْهَرِيًّا بِ: (الْقِيَمِ الدِّينِيَّةِ وَالْإِنْسَانِيَّةِ)، وَمَكَارِمِ

الْأَخْلَاقِ وَالْجَوَانِبِ النَّبِيلَةِ؛ الَّتِي تَبْنِي شَخْصِيَّاتِ الْمُبْدَعِينَ النَّاجِحِينَ فِي الْحَيَاةِ وَالْمُجْتَمَعِ [... وَأَنْ تَثِقَ فِي نَفْسِكَ ..

- وَأَنْ تَمْلِكَ: الْعَزِيمَةَ، وَالْإِصْرَارَ [أَي: (الِإِرَادَةَ الْمُسْتَقْلَةَ)؛ وَتُمَثِّلُ: قُوَّةَ الْعَزْمِ وَالتَّصْمِيمِ وَالْحَسْمِ فِي التَّنْفِيزِ بِلا مَبِوعَةٍ أَوْ تَرَدُّدٍ أَوْ تَهَاوُنٍ، وَهِيَ أَكْبَرُ قُدْرَةٍ يَمْتَلِكُهَا كُلُّ إِنْسَانٍ لَدَى مُصَارَعَةِ الْحَيَاةِ لِلْحُصُولِ عَلَى مَا يُرِيدُ] ..

- وَالتَّفْكِيرَ الصَّحِيحَ، وَالخَيَالَ الوَاسِعَ [أَي: (الخَيَالَ الْمُبْدِع)؛ وَتُمَثِّلُهُ قُوَّةُ (العَقْلِ) الْمُتَمَثِّلَةُ بِدَوْرِهَا فِي التَّفْكِيرِ الإِيجَابِيِّ وَالتَّأْثِيرِ النَّفْسِيِّ عَلَى اكْتِشَافِ مَنَاطِقِ الْفِرَاقِ وَمَلئِهَا بِالفِكْرَةِ أَوْ الخُطَّةِ أَوْ الإِنْجَازِ الْمُنَاسِبِ] [وَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا فِي أَجْوَاءِ تَسَاحِيحِيَّةٍ حُرَّةٍ مُشْجَعَةٍ لِذَلِكَ، وَالمِيدَانَ مَفْتُوحًا لِلتَّنَافُسِ الْحَرِّ، أَمَّا الأَجْوَاءُ الْمُغْلَقَةُ الخَانِئَةُ؛ فَإِنَّهَا لَا تَصْنَعُ (إِبْدَاعًا) وَلَا (حُرِّيَّةً)] ...

- وَالرَّغْبَةَ الصَّادِقَةَ .. وَالْعَمَلَ الْجَادَّ، وَأَنْ لَا تَكْتَفِيَ بِالْأَحْلَامِ ...

- وَلَا بُدَّ مِنَ الدُّعَاءِ وَالضَّرَاعَةِ إِلَى اللَّهِ؛ كَمَا فَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ وَفِي غَيْرِهَا بَلْ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ؛ وَهَذَا مِنْ بَابِ الأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ. فَلَا نَعِيشُ كَالْجَسَدِ بِلا رُوحٍ.

- التَّفَاوُلُ وَعَدَمُ التَّشَاوُمِ؛ مَعَ "الإِيمَانِ بِالقَضَاءِ وَالقَدَرِ"، "وَلَوْ أَنْفَقْتَ جَبَلَ أَحَدٍ ذَهَبًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ؛ حَتَّى تُؤْمِنَ

بِالْقَدْرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ
لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مَتَّ عَلَيَّ غَيْرَ ذَلِكَ لَدَخَلَتِ النَّارَ."

- وَ... تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ!!!



وَأَخِيرًا؛ "كُنْ جَمِيلًا تَرَى الْوُجُودَ جَمِيلًا".

و.. أَخْرِجْ أَجْمَلَ مَا فِيكَ!

إِنَّكَ تَمْلِكُ (السَّعَادَةَ) بِدَاخِلِكَ!

إِنَّكَ تُدْرِكُ وَتَعْيِي: مَنْ أَنْتَ؟ وَ.. تُدْرِكُ وَتَعْيِي مَا حَوْلَكَ!

إِنَّكَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُسْقِطَ ذَاتَكَ عَلَى مَا حَوْلَكَ، بَلْ .. وَأَنْ تَعْمَلَ عَلَى

تَغْيِيرِ الْعَالَمِ مِنْ حَوْلِكَ

إِنَّكَ (إِنْسَانٌ)، وَتَمْلِكُ (الإِرَادَةَ)!!!

